رواية

امتراء

سحر رجب

امتراء
تأليف : سحر رجب

تصميم الغلاف والإخراج الداخلي :
رشا عبدالله
المحرر الأدبي : أحمد سراج

رقم الإيداع: ١٧٩٨١ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي: 978-977-85296-0-9
الطبعة الأولى: 2016

إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712
3aberorg@gmail.com
www.3aber.org
عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

رواية

امتراء

سحر رجب

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

إهداء

إلى مواطنى أرض الحب عائلتى الصغيرة، معتنقى مذهب الحب، منكم تعلمت الحب وإليكم أهدى أولى كتاباتى متنسمة بأرقى عطور الاحترام والمودة.

إلى صديقاتى اللمسة الحانية فى الضيق والتضحية الصادقة والأخوة الدائمة منكم تعلمتُ وبكم أصبحتُ ومعكم تكون لذة الحياة.

حين يتطوع أحدهم بوقته - فإنه يقتطع من عمره - وحين يسخر تعبه وجهده فقط من أجل تذليل العقبات التى تواجهك حتى يمنحك بعضا من السعادة فإنه من هؤلاء الذين فاقت معادنهم أصالة الذهب... لا تسمح لحياتك أن تستمر دون وجودهم فيها؛ فهؤلاء هم ركائز الحياة وعمدها

إلى

الأستاذ/ محمد رويشد

الشاعرة/ ياسمين الشاذلي

أساتذتى فى اللغة العربية

الفصل الأول

خرجت هند من النيابة بعد تحقيق دام لساعة ونصف وبرفقتها يوسف الذى لم يتخل عنها رغم ما بدر منها فى مقابلتهما الأخيرة.

كانت تتجنب النظر إليه خجلا من أخطائها المتتابعة فى حقه، ولكنه نظر إليها بابتسامة رقيقة وبادرها قائلا: ممكن تقبلى عزومتى على الغدا؟

كادت أن ترفض ولكنها رأت أن قبولها دعوته سيكون بمثابة اعتذار له، فوافقت.

توجها بسيارته إلى مطعم قريب وطلبا الغداء، وأثناء تناولهما الغداء لم تنطق هى ببنت شفه، ولم ترفع عينيها. ابتسم لها وقال:

هو الأكل مش عاجبك ولا إيه؟ ده مطعمى المفضل.

أجابته دون أن ترفع عينيها:

لأ الأكل حلو بس...

نظرت إليه ثم قالت: شوف بقى أسلوبك ده بيعذبنى بيحسسنى أد إيه كنت قليلة الذوق معاك.

- بس أنا مش متضايق.

- ما هو رد فعلك ده هو اللى بيضايقنى أكتر.

- أنا عارف إن أعصابك تعبانة. صحيح أنا مش عارف السبب بس متأكد إن وراه سر خاص بيكي.

همست لنفسها: كنت خايفه أبقى نسخة تانية من هبة.

أتبع دون أن يهتم بهمسها: أنا متأكد كمان إن هو ده نفس السر اللى مخليكى عايشة لوحدك.

نظرت إليه بألم، سكتت قليلا ثم قالت: صدقنى أكيد هاحكيلك كل حاجة فى يوم.

ابتسم لها، ثم أكملا غداءهما فى صمت.

فى بداية طريقهما إلى شقتها كان الصمت هو سيد الموقف إلى أن قطعه قائلا: تضايقى لو عرفتى إنى سمعت همسك فى المطعم؟

أطرقت قليلا ثم نظرت فى عينيه، ووجدت فيهما من الأمان والحنان ما حثها على أن تحكى له، فقالت: أنا هاحكيلك كل حاجة.

استيقظت هند على صوت المنبه، ضربته بقبضة يدها فى غيظ فأسكتته، أمسكت رأسها وتأوهت فى ألم من الصداع الذى كاد يفجر رأسها.

فتحت عينيها قليلا ولكن ضوء الصباح المتسرب إلى غرفتها أجبرها على إغلاقهما مرة أخرى وبعد أن تأقلمت على الضوء فتحتهما من جديد، إنه صباح يوم جديد، ولكنها كالعادة لم تنعم بنوم هادئ؛ وكيف تهنأ بنوم وذلك الكابوس المزعج يلازمها كل ليلة؟ فتحت أمها الباب ودخلت: انتى صحيتى يا هند؟

- آه يا ماما، صحيت على المنبه.

- طيب أنا هروح أحضر الفطار ع بال ما تصلى وتلبسي، وحاولى تنجزى كده مش كل يوم هبة تستناكي.

- أنا باخلص فى ميعادي، هى اللى بتيجى بدري.

قالت أمها مازحة: بطلى لماضة وخلصي.

بدلت هند ملابسها وأخذت كتبها وهمت بالانصراف فاستوقفتها أمها قائلة: إيه يا هند مش هتفطري!

- معلش يا ماما مش هالحق هابقى أخدلى ساندويتشين كده فى الجامعة

- بس هبة لسه ماجتش.

- لا ما أنا اللى هاعدى عليها لأنها كده اتأخرت أوى سلام بقى يا ماما.

طبعت أمها قبلة حانية على وجنتها كما اعتادت قبل توديعها:سلام ياحبيبتى فى رعاية الله.

غادرت هند فى طريقها لمنزل صديقتها هبة التى اعتادت أن تذهب معها الى كليتهما «كلية التربية «فهما زميلتان ليس فقط فى الكلية، ولكن فى كل مراحل تعلميهما لم يفترقا، حتى أن بعض زميلاتهما أطلقن عليهما السيامى -أى التوأم الملتصق- ضحكت هند لمجرد أن تذكرت ذلك اللقب، ولكنها انتبهت سريعا أنها تمشى وحدها فى الشارع، فحاولت أن تتماسك إلى أن وصلت لمنزل هبة.

وقفت هند أسفل المنزل واتصلت بهبة.

- السلام عليكم. يالا ياهبة أنا تحت البيت، انزلى يلا هنتأخر.

مـرت دقيقتـان تقريبـا حتـى نزلـت هبـة اسـتغرقتهما هنـد فى التفكـير حتـى أنهـا شـعرت أنـه مـر وقـت طويـل.

- إيه ياهبة سنة علشان تنزلي!

هبة بضجر: أعمل إيه بس أنا تعبت.

- ليه؟ حصل حاجة تاني؟

- يعنـي، العـادى بتـاع كل يـوم صاحيـة عـلى صـوت خنـاق وصريـخ اخـواتى الصغيريـن.

- المفروض تكونى اتعودتى ياهبة.

- انتى بتتريقي!

- لا والله مش قصدي.

- انتـى عمـرك ماجربتـى إحسـاس إن باباكى يكـون عـلى طـول بيـشرب مخـدرات ومـش حاسـس بيـكى ولا باخواتـك ولا بالدنيـا أصـلا ويـوم لمـا يفـوق شـويه يقـوم يـضرب ويشـتم ويرجـع تـانى مـش فى وعيـة.

- معلش يا هبة ربنا يهديه يا رب.

- المهـم سـيبك منـى أنـا زى مـا قولتـى تقريبـا اتعـودت خلينـا فيـكى انتـي.

- أنا؟

ردت هبة بسخرية محاولةً تقليد صوت هند:

آه انتي. عملتى إيه فى موضوع العريس؟

ردت هنـد بـتردد: مـا أنـا خـلاص وافقـت والخطوبـة إن شـاء اللـه قريـب.

ردت هبةبقليل من الانفعال: عادى كده ببساطه وافقت! انتى فكرتى أصلا أو حاولتى حتى تفكري؟

- أنا حاسة إنه كويس وابن حلال وأهو زميلنا من أيام الثانوى وعارفينه.

- انتى عارفة إن دى المشكلة إنه زميلنا من أيام الثانوي.

ردت هند بانفعال ملحوظ: خلاص ياهبة مش كل شوية تفكرينى بأيام الثانوى كفاية بقي.

- ده على أساس إنك نسيتى يعنى ولا على أساس إنك ما بتحلميش كل يوم بنفس الكابوس؟ بصى على العموم انتى حرة.

كانت تلك الكلمات الأخيرة كفيلة بأن تجعلهما تلتزمان الصمت إلى أن وصلتا إلى الكلية.

شعرت هند بمرور اليوم ثقيلا والمحاضرات مملة ولم تفهم منها كلمة واحدة لأن تفكيرها فى كلام هبة جعلها تواجه نفسها بما حاولت تجاهله عندما تقدم ذلك العريس- فارس - لخطبتها.

وفى طريق عودتهما بدأت هبةالحوار قائلة:

بصى ياهند أنا مش عايزاكى تزعلى منى انتى عارفه إن أنا قصدى نصيحتك ومش عايزاكى ترجعى تندمى على حاجه عملتيها، ده جواز.

حاولت هند ان تبتسم لها مجاملة أو أن ترد ولو بكلمة واحدة، لكنها شعرت بالكلمات ثقيله تأبى الخروج فاكتفت بالابتسام.

وصلت هند لمنزلها على غير الحال الذى خرجت عليه صباحا ولاحظت أمها شرودها فبادرتها قائله: مالك ياهند إيه اللى مضايقك؟

لم تتمالك هند نفسها وأخذت تبكى فاحتضنتها أمها فى محاولة منها لتهدئتها. جففت هند دموعها ثم قالت: أنا مخنوقه يا ماما مش عايزة أروح الكلية.

- لا ياهند انتى مش متضايقة من الكلية انتى دخلتى الكلية دى وانتى حباها وكانت رغبتك من وانتى صغيرة فمستحيل الضيقة دى كلها تكون من الكلية، أكيد فى حاجة تانية ضايقتك ومخلياكى زهقانة من الكلية.

ولأن هند اعتادت على ألا تخفى شيئا عن أمها قصت عليها ما دار بينها وبين هبة.

ابتسمت أمها وقالت لها:

بقى هو ده اللى مضايقك؟!بصى ياهند أى حاجة تخصك بيبقى القرار الأول والأخير فيها قرارك وكل دورنا هو النصيحة وانتى دلوقتى مش صغيره ماحدش هيحس بيكى اكتر منك وانتى تقدرى تختارى اللى فيه مصلحتك من غير توجيه من حد. خدى وقتك وفكرى ماحدش هيضغط عليكى انتى مش مطلوب منك غير إنك تختارى اللى يريحك مش اللى يريح الناس.

ثم أتبعت:

ادخلى ياحبيبتى غيرى هدومك ونامى شويه لحد ما بابا ييجى ونتغدى سوا. ثم طبعت قبلة على جبينها أشعرتها بكثير من الراحة النفسية ومنحتها بعضا من الطاقة الإيجابية التى ستجعلها تفكر بجدية أكثر.

استرخت هند على سريرها وسرعان ماراحت فى نوم عميق. ولم يفسد عليها نومها إلا ذلك الكابوس الذى وكأنما أقسم على أن يفسد عليها منامها وحياتها.

(أناس كثيرون تعرفهم، ولكنها لاتستطيع تحديد ملامحهم، ينظرون اليها ويبتسمون لا ليس لها، بل يضحكون عليها يتقدم من بينهم شاب طويل القامه ويحاول ان يمد يده ويلمسها، تحاول التخلص منه، ولكنه يحكم قبضته على ذراعها ويحاول التحرش بها تحاول هى الاستغاثه تحاول أن تصرخ، ولكنها تشعر

بهوانها وضعفها. وصرختها، إنها لاتقوى على الصراخ تحاول وتحاول حتى تخرج صرختها مكتومه)

ثم تستيقظ لتجد نفسها على سريرها فى حجرتها، ولكن أطرافها متراخيه لا تستطيع تحريكها. وأخذت تبكى بوهن إلى أن دخلت أمها مسرعة وأخذتها فى حضنها وأخذت تمرر أصابعها فى شعرها وهى تقرأ بعض الآيات القرآنية إلى أن هدأت هند قليلا وقالت بصوت متهدج: الكابوس يا ماما الكابوس

-اهدى ياهند بسم الله الرحمن الرحيم يا رب يا رب ترحمها وتنتقم من الى كان السبب.

وترقرقت الدموع فى عين الأم ولكنها حبست دموعها وحاولت أن تتمسك بهدوئها من أجل ابنتها،

إنها تتمزق من الداخل؛ فإنها ترى ابنتها الوحيده تذبل يوما بعد يوم ولا تستطيع أن تنقذها، رغم مرور حوالى أربع سنوات على تلك الحادثة، إلا أنها لازالت مترسخة فى عقل هند وتثقل قلبها، وما

زالت جاثمًا على انفاسها تتجرع كل يوم كأس الألم جراء فعلة منحطة من مراهق مات ضميره وغاب عقله.

يوما ما كانت هند فتاة مفعمة بالحيوية تكاد أنوثتها أن تنطق لتسكت أية فتاة تظن أنها تتمتع ولو بالقليل من الجمال. كان ذلك حتى اليوم الذى صارحها فيه زميل لها فى درس اللغة العربية أنه معجب بها ويتمنى لو تقبل بصداقته، ولكنها نظرت إليه بحياء قائلة: آسفة أنا ما بصاحبش ولاد، بعد إذنك.

وهمت بالانصراف إلا أنه أوقفها بأن أمسك بذراعها، ولكنها أبعدت يده قائلة: شيل ايدك يا حيوان.

ولكن حيوانا مثله لم يقبل بأن تواجهه بحقيقته، فقال لها بطريقة أشبه بأسلوب بلطجى محترف: أنا حيوان؟ انتى فاكره نفسك مين ده أنا البنات هى اللى بتيجى لحد عندى تطلب إنى أكون صاحبها. أقسم بالله لأندمك. لو انتى شايفة نفسك أنا هاوريكي.

طبعا كل ذلك حدث على مرأى ومسمع من زملائها وزميلاتها فى الدرس. غادرت هند مسرعة ظلت دموعها التى حاولت حبسها تترقرق إلى أن غلبتها وسقطت على وجنتيها النضرتين إلى أن وصلت منزلها وهى منهارة. وارتمت فى حضن أمها الذى لطالما ألقت فيه همومها وحمولها لتنهض منه وكأن شيئا لم يكن.

وبعد أن عرفت هبةما حدث فى ذلك اليوم الذى تصادف وأن غابت فيه بسبب مرضها أخذت تلقى عليه السباب واللعنات وأخذت تتوعده أنها ستضربه ضربا مبرحا حتى يتعلم الادب. وطبعا كانت غضبه (وراحت لحالها). بعدها أخذت تهدئ هند وتقنعها بأنه لن يستطيع أن يؤذيها كما يدعى وأنه مجرد مراهق (شايف نفسه شويه).

ومنـع المـرض هبـة مـن أن تذهـب إلى الـدرس تلـك الحصـه أيضـا، لتواجـه هنـد توعـدات وتهديـدات ذلـك المجنـون -عبـد العظيم-وحدهـا، فبعـد نهايـة الحصـة كان ذلـك الوغـد ينتظرهـا بالخـارج ويبـدو أنـه اتفـق مـع زملائـه الحقـراء أمثالـه عـلى مـا سـيفعله.

فلقـد طوقوهـا فيـما يشـبه الدائـرة المغلقـة، وحـاول أن يتحـرش بهـا. حاولـت أن تدفـع يـده عنهـا، ولكنـه كان قويـا بحـق، وظلـت تـصرخ وتـصرخ إلى أن خـرج المـدرس مـن حجـرة الـدرس عـلى صراخهـا، وحينهـا فقـط هـرب عبـد العظيـم وأتباعـه وتـرك هنـد فى حالـة انهيـار تـام.

اتصـل المـدرس بوالدهـا الـذى جـاء عـلى الفـور ليجـد ابنتـه أشـبه بالأمـوات، شـاحبة اللـون، لا تقـوى عـلى الحركـة أو الـكلام.

وظلـت هنـد عـلى تلـك الحالـة فـترة طويلـة، إلى أن بـدأت تتحسـن بمسـاعدة أمهـا، التـى كانـت تبـث فيهـا روح الأمـل دائمـا محاولـة أن تنسـيها مـا حـدث.

وظنـوا جميعـا أنهـا بالفعـل تحسـنت، إلا أن تلـك الكوابيـس بـدأت تأخـذ دورهـا؛ لتكمـل مـا فعلـه ذلـك الحيـوان.

وكانـت هنـد فى تلـك الفـترة قـد انقطعـت عـن الدراسـة وفاتهـا الكثير، وكان ذلـك بمثابـة كارثـه بالنسـبة لطالبـة فى الصـف الثالـث الثانـوي، ولكنهـا بمسـاعدة أمهـا، التـى علمتهـا ألا تعـترف بالمسـتحيل اسـتطاعت هنـد أن تعـوض مـا فاتهـا، وحافظـت عـلى مسـتواها المتميـز واسـتطاعت الالتحـاق بالكليـة التـى طالمـا حلمـت بهـا.

بعدمـا هـدأت هنـد قليـلا نظـرت لأمهـا ثـم قالـت بتحـد وكأنهـا تتحـدى شـيئا مـا دار بخلدهـا فجـأة:

ماما أنا خلاص موافقة على العريس موافقة نهائية.

- هند انتى فكرتى كويس؟

- إن شاء الله خير. يعنى يا ماما إيه اللى هيحصل يعنى؟

- هند العلاقات الاجتماعية دى بتتحسب على البنت، وأنا مش عايزاكى تقررى إلا لما تفكرى كويس.

- صدقينى يا ماما خلاص فكرت.

-خلاص أنا هابلغ بابا علشان يرد على العريس.

وتركتها أمها وخرجت.

وافقت هند على غير اقتناع؛ ظنا منها أنها عندما توافق على شخص قد شهد ذلك الموقف الأليم الذى مر بها -حيث كان فارس زميلا لها فى الدرس -فإنها بذلك تواجه أزمتها، وقد يستطيع أن يفهمها ويمكنه أن يساعدها على تخطى آلامها بشكل كامل، ولكن شيئا ما بداخلها لم يسمح لها أن تسعد بهذا القرار.

شيء ما كان يقلقها، ولكنها تجاهلته وحاولت أن تقنع نفسها بصحة قرارها.

تم تحديد موعد الخطوبة سريعا، على أن يتم الزواج بعد الانتهاء من الدراسة أى بعد أشهر قليلة جدا؛ فالعريس كان فى نفس سنها ولكنه استطاع بخبرة دراسته بكلية التجارة أن يعمل فى حسابات احد المحال الكبرى التى يمتلكها أحد أقاربه، واستطاع بمهارته أن يحقق نجاحا مبهرا فى عمله وزاد مرتبه وأصبح على قدر مُرضٍ من الاستقرار المادى.

وبالطبع موقف كهذا جعلها فى أمس الحاجه لصديقتها هبة؛ كى تكون بجانبها، ولذلك اتصلت عليها:

السلام عيكم.

- وعليكم السلام.

- إزيك يا هبة؟

- الله يسلمك.

-عايزاكى يا هبة تجيلى النهارده؛ محتاجاكى كده فى شوية حاجات.

- حاجات إيه؟

- إيه يابنتى انتى نسيتى إنى عروسة!

ردت هبةبـبرود: لا مـا نسـتش. خـلاص أنـا هالبـس وأنزلـك نتكلـم براحتنـا.

مـرت سـاعة وسـمعت هنـد جـرس البـاب: اسـتنى يـا ماما دى اكيـد هبةأنـا الـلى هافتـح.

قالت أمها مازحة: خلاص يا ستى افتحى انتى هو أنا هاكلها!

-هههههههههههههههه.

فتحـت هنـد البـاب، وأدخلـت هبـة وهـى تقـول: ادخـلى يـا أخـرة صـبرى.

- أنا برده! إحم إزيك ياطنط؟

- إزيك يا هبة ياحبيبتي؟ عامله إيه وماما عامله إيه؟

- الحمد لله. مبروك لهند.

- الله يبارك فيكى ياحبيبتى عقبالك.

- بعد إذنك يا ماما هندخل أوضتى شوية.

- ماشى ياحبيبتي. اتفضلى ياهبة.

وفى حجرة هند: - إيه يا هبة مالك قافلة كده؟

قالت هبةبعد أن انتبهت إلى كلمات هند: لا أبدا مافيش، العادى يعنى زعيق وخناقات كل يوم بس النهارده بقى خدت من الضرب نصيبى.

- نعم اتضربتي! إزاى؟

- مستغربة ليه؟ ماهو بيضرب ماما علطول.

ثم أتبعت بسخرية: فقلت أشيل عن ست الحبايب شويه زى ما هى شايلانا.

ترقرقت الدموع فى عينى هبة، ولكنها أبت أن تطلق لها العنان.

نظرت إليها هند بحنان وأسف وقالت: أنا آسفه ياهبة لو كنت أعرف إنك تعبانة كده ماكنتش طلبت منك تجيلي.

- لا، عادى ادينى بافك عن نفسى معاكي. ثم أتبعت بابتسامة:

يلا بقى عايزين ندلعك شوية ياعروسة.

- هههههههههههههه. استنى هاوريكى فستان الخطوبة.

- إيه ده جبتيه امتى؟

ردت هند بخجل: فارس هو اللى جابه.

-هتعملوها عائليه برده؟

- إن شاء الله. بس طبعا انتى تبع العيلة هاه إوعى تتأخرى أنا لولا إنى عارفة ظروفك كنت قولتلك باتى معايا لبكره.

- لا ماتقلقيش. إن شاء الله بكره من بدرى هاكون عندك.

بعـد أن قضيتـا وقتهـما بـين المـزاح واللعـب رحلـت هبـة وتركـت هنـد لتعـود إلى قلقهـا.

شيء مـا يخيفهـا مـن الغـد مـن لحظـة الخطوبـة، هـى تعلـم ذلـك الـشيء الـذى دائمـا ينغـص علينـا سـعادتنا ليشـعرنا دائمـا ان شـيئا ناقصـا لفرحتنـا كى تكتمـل، كانـت تعلـم أنـه خـوف مختلـف وقلـق مـن نـوع آخـر، لكـن لا سـبيل لهـا إلا أن تقنـع نفسـها بأنـه القلـق المرافـق للفرحـة.

الفصل الثاني

وعندما حل الليل، لم تستطع هند النوم واستسلمت للتفكير بالأحداث الأخيرة، وسألت نفسها أكانت محقة عندما وافقت على تلك الخطوبة؟ وهل ستساعدها على التغلب على تلك الكوابيس التى تطاردها بلا حياء؟

ظلت هند تفكر حتى اقترب الفجر بعدها راحت فى نوم عميق ولم تستيقظ إلا على صوت أمها فى الثامنة صباحا: إيه ده فى عروسة كسولة كده!

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير يا عيون ماما. يلا يا حبيبتى اصحي؛ علشان النهارده يوم طويل وعندنا حاجات مهمه عايزين نلحق نخلصها.

ردت هند وهى تضع يدها على فمها لتمنع تثاؤبها:

حاجات إيه بس؟

- عندنا أحلى عروسة النهارده لازم تلبس وتتمكيج.

ابتسمت هند فى سعادة ونظرت لأمها، التى لم تستطع التغلب على دموع الفرحة واحتضنتها بشدة.

قالت أمها فى حنان:

تعـرفى يـا هنـد أنـا عمـرى مـا فرحـت زى النهـارده. النهـارده هـو نتيجـة تعـب عمـرى كلـه. أنـا النهـارده هاجنـى الثمـرة الـلى رميـت بذرتهـا مـن سـنين. ربنـا يوفقـك يـا ثمـرة عمـرى وأحـلى هديـة مـن ربنـا.

نظرت إليها هند بعينين دامعتين وقالت:

أحـلى حاجـة فى النهـارده إنـك جنبـى يـا ماما ومعايـا. ربنـا مـا يحرمنـى منـك.

- ولا يحرمنـى منـك. يـلا أنـا حـضرت الفطـار هنفطـر وبعديـن نشـوف الـلى ورانا.

- حاضر يا ماما هاكلم هبةوأخرج ورا حضرتك علطول.

اتصلـت هنـد عـلى هبةمرتـين بـلا جـواب إلى أن ردت فى المـرة الثالثـة بصـوت ناعـس:

ألو، مين معايا؟

ردت هند مازحه:

مين معاكى إيه يا هبة! انتى بتحلمى ولا إيه؟

- انتـى إيـه الـلى مصحيـكى دلوقتـى روحـى نامـى يـا ماما الخطوبـة لسـه بالليـل.

- هههههههه لا والله؟ قومى يا كسولة البسى بسرعه وتعالي.

- خلاص بس ما تزقيش.

بعـد أن أنهـت هنـد المكالمـة، تناولـت إفطارهـا مـع أمهـا، وكأغلـب الأحيـان والدهـا ليـس موجـودا، رغـم أنـه معـاش مبكـر منـذ سـنوات، إلا أنـه لم يكـن دائـم الوجـود بالمنـزل، وكالعـادة لم تسـأل هنـد عـن سر تغيبـه لأنهـا اعتادتـه.

لم يمر وقت طويل حتى وصلت هبة.

جلست الصديقتان فى غرفة هند، حتى دخلت والدة هند تحمل علبة فاخرة جدا وقدمتها لهند، التى ارتسمت فى عينيها نظرة إعجاب شديد بالعلبة وتساءلت:

إيه العلبة دى يا ماما؟

- دى علبة ماكياج، طلبتها من واحدة صاحبتى مسافرة بره، ولما عرفت إن النهارده خطوبتك بعتتهالك هدية.

- ربنا يخليكى ليا يا ماما. بس دى جميلة أوى.

- افتحيها وشوفيها، دى اللى هامكيجك منها النهارده.

اقتربت هبةحتى ترى العلبة بوضوح، وبمجرد أن رأتها حتى صفرت بإعجاب:

ياه دى تحفة خالص، وشكلها كمان غالية.

ردت والدة هند:

ما فيش حاجة تغلى على هند. يلا طلعى الفستان من الدولاب؛ علشان تلحقى تجهزي؛ فارس اتفق مع باباكى إنه هيكون هنا العصر.

- حاضر يا ماما.

خرجت والدة هند وتركتها وهبه.

تابعت هبةوالدة هند بعينيها إلى أن أغلقت الباب، ثم نظرت لهند وقالت:

يابختك بمامتك.

- ماما؟ ماما دى أحلى حاجة فى حياتى ربنا يخليها ليا.

- ياريت مامتى كانت زيها.

- ليه بتقولى كده؟ دى مامتك عسوله وطيبه جدا.

- قصدك كانت. دلوقتى بقت حد تانى من كتر اللى شافته من بابا بيتهيألى إنها بتكرهنا لأنها لما بتبصلنا بتشوف شكله فى ملامحنا.

- إيه يابنتى اللى بتقوليه ده! مافيش أم بتكره أولادها مهما حصل. وبعدين انتو ضحايا تصرف باباكى الغلط زيكم زيها، وبكره لما تتخطبي- إن شاء الله -هتشوفى مامتك هتبقى فرحانه بيكى أد إيه.

ابتسمت هبةفى سخريه وقالت:

أتخطب؟ أتخطب لمين؟ مين اللى هيرضى يرتبط بواحده باباها مش فايق لنفسه علشان يفوقلها ويفوق لمستقبلها؟ ولا إخواتى اللى بقوا فى حكم المشردين ده لولا القرشين اللى ماما بتكسبهم من التفصيل وبابا بياخد نصهم، ماكنتش عرفت أدخل الجامعه. هتجهزنى بقى منين وهتكمل مصاريف إخواتى منين؟

- أولا ربنا هو اللى بيرزق، يعنى اللى مامتك بتكسبه ده رزقك انتى وإخواتك. ثانيا احنا خلاص هنتخرج السنه دى وهنشتغل وهتقدرى تساعدى مامتك فى المصاريف.

- نشتغل إيه؟ انتى بتشوفى أفلام كتير شكلك. وبعدين مالنا قلبناها دراما كده ليه؟ يلا يابنتى نادى مامتك علشان تلحق تحطلك الميك أب.

- تلاقيها بس بتعمل حاجة بره وجايه.

- هو انتو ليه يا هند صحيح ما أجلتوش الخطوبة لبعد الامتحانات؟

- عادى يعني، فارس عايز الخطوبة دلوقتي، واتفق مع بابا إنه بعد مايتخرج- إن شاء الله- هيواظب على شغله الحالى وهيحاول يشوف بقى وظيفة تانية فى شركة او بنك يتثبت فيها وبعدها علطول -إن شاء الله -هيتم الفرح.

- بس انتى إيه رأيك فيه بجد؟

- بصى أنا ما قعدتش معاه غير مرتين، مره لما اتقدملي، والمرة التانية لما قرينا الفاتحة، بس يعنى أنا شايفة إنه كويس ومحترم وعصامى كده غير شباب كتير الأيام دي.

تنهدت هبة ثم قالت:

واشمعنى بقى هييجى العصر؟ مش بدرى شويه؟

- لأ اصل بعد ما نلبس الدبل هنخرج نتعشى كلنا.

- أها قولتيلي. بس هى فين الدبل بقي؟

- ما هو اللى هيجيبها على ذوقه.

ابتسمت هبة بسخرية وقالت:

يعنى الفستان على ذوقه والدبلة على ذوقه؟

- أه. بس إيه رأيك؟ الفستان حلو وكمان مقاسه مظبوط.

- ماشى ياستى ربنا يهنى سعيد بسعيدة.

دخلت والدة هند، وفى وقت ليس بطويل انتهت هند من وضع زينتها وارتداء الفستان.

دق جرس الباب، ارتبكت هند واحمرت وجنتاها وأخذت، أمها تهدئها.

فتح والدها الباب لفارس ووالده وأخيه ورحب بهما، ثم دخل حجرة هند ليحضرها:

يلا يا هند فارس بره.

شعرت هند بدقات قلبها تتسارع، حتى أنها كادت لا تسمع شيئا حولها إلا ضربات قلبها المتسارعه.

خرجت هند فى حياء، حتى أنها لم تستطع أن ترفع عينيها، وبجوارها أمها تمسك بيدها وخلفها هبه.

ابتسم لها فارس، فاحمرت وجنتاها أكثر وزاد خفقان قلبها معلنا أنها وصلت لأقصى حالة حرجة من الخجل المميت الذى يكاد يوقف قلبها.

أجلستها امها إلى جواره وأخذوا جميعا يتبادلون التهاني.

أخرج فارس من جيبه علبة حمراء صغيرة، وأخرج منها الدبلة، حينها شعرت هند بدقات قلبها تكاد تتوقف تماما خاصة حين أمسك بإصبعها ليضع به الدبلة.

قامت أمها قبلتها وأخذت تزغرد كثيرا،

وقبلها والدها وأقبلت هبة لتهنئتها واستأذنت فى الرحيل حتى لا تتأخر.

جلست هند وفارس وحدهما وجلس الباقى فى حجرة مجاورة لهما. بادرها فارس قائلا:

مبروك. أنا بصراحه مش مصدق نفسى حاسس إنى مسكت النجوم بإيديه، حاسس إنى طاير.

مرة أخرى تشعر هند بقلبها يكاد يقفز من مكانه.

ثم أتبع قائلا:

ربنا يقدرنى وأقدر أوهبك السعادة اللى بتتمنيها. اعتبرى إن ربنا بعتنى ليكى علشان أسعدك وبس.

ابتسمت هند فى سعادة، شعرت بالأشياء حولها تتراقص فى سعادة؛ لكم انتظرت تلك السعادة لتنسيها ما مرت به يوما ما شعرت بكلماته تربت على قلبها تطمئنه وتخفف من قلقه.

بعدها أخذهم فارس إلى مطعم فاخر قضوا به ليلتهم، وأخذوا يتسامرون، واتفق فارس معها على أن يزورها من وقت لآخر فى المنزل.

عندما عادت هند لمنزلها شعرت بأنها إنسانة جديدة بروح جديدة، روح عاد اليها الامل فى الغد؛ لقد جاءها الفارس الذى سيطيب جراح الأمس ويرسم معها مستقبلا حالما خاليا من أى آلام جديدة.

فى الصباح استيقظت هند لتستقبل يوما جديدا. هاهى عائده مرة أخرى لكليتها، لكن بوضع مختلف؛ الآن لديها أحلام وآمال وعزيمة قوية ستمنحها القوة لمواجهة أى صعاب.

هبه:

يا أهلا بالعروسة. أنا افتكرتك مش هتقدرى تنزلى الكلية النهارده.

ابتسمت لها هند وقالت:

بالعكس أنا حاسه إنى كلى نشاط.

- طيب. ياريت النشاط ده يستمر لحد الامتحانات، أهى كلها أسبوعين والامتحانات تبتدى لما نشوف.

- ربنا يسهلها علينا، خلاص ده آخر ترم الواحد يجتهد على قد مايقدر علشان يكون الختام مسك.

- ياااارب.

خلال فترة الامتحانات لم يكن فارس يزور هند؛ حتى يستطيع كل منهما أن يوفر وقته للمذاكرة وتعاهدا على الجد والاجتهاد؛ ليكون هذا النجاح أول ثمر من نبتهما.

بعد انتهاء الامتحانات عاد فارس لزيارتها، وكان ذلك الحوار هو ما دار بينهما فى أول لقاء بعد الامتحانات.

فارس:

عملتى إيه فى الامتحانات؟

ثم أتبع مازحا:

مش عايزهم يقولوا وشى وحش عليكي.

ضحكت هند وقالت:

لأ ماتخافش؛ أنا تلميذة شاطرة وسمعت الكلام وذاكرت. بس ربنا يستر ومايتقالش عليا إنى أنا اللى وشى وحش.

- محدش يقدر يقول عليكى أى حاجة وحشة. ده أنا كنت بذاكر بس؛ علشان حاطك هدفى وحلمى اللى لازم أوصله، ونجاحى الترم ده هيثبتلك قيمتك عندي.

احمرت وجنتا هند خجلا وابتسمت له فى حياء.

- على فكره أنا مجرد مانتيجتى تظهر، هاستلم شغلى وأتثبت، وإن شاء الله ربنا يقدرنى وأقدر أجمع مبلغ كويس خلال فترة قصيرة، بس أنا محتاج دعواتك.

- إن شاء الله ربنا معاك.

- أكيد ربنا هيكرمنى علشانك.

للمرة الثانية تحمر وجنتاها وتبتسم.

بعد مغادرة فارس، جلست هند مع والدتها كعادتهما

- فارس عامل معاكى إيه.

- إن كان على فارس، فهو كويس وأخلاق، إنما أنا....

- أنا حاسة برده إن فيكى حاجه، بس كنت عايزاكى انتى اللى تيجى تقوليلى مالك.

- مش عارفة يا ماما الكوابيس لسه بتجينى وساعات باحس إنى قلقانة برده، مع إنى كنت فاكرة إن كل الحاجات دى هتتغير بعد الخطوبة.

- إدى نفسك فرصة يا هند؛ انتى مخطوبة من فترة قصيره لسه، وجايز الإحساس ده بسبب إنك لسه ما خدتيش على فارس، ومادمتى بتقولى إنه كويس إديه هو كمان فرصة. وإياكى تفرضى حاجة على نفسك انتى مش عايزاها، قرارك بإيدك خدى وقتك وفكري؛ القرار السليم محتاج تفكير نقي، والتفكير علشان يخرج سليم محتاج وقت.

نظرت إليها هند بقلق وسألتها:

تقصدى إنى ممكن لو ما استريحتش، أفشكل خطوبتي؟

- الخطوبة دى فترة اختبار مش أكتر. مشروع ارتباط بيديكى فرصة إنك تختبرى تعاملاتك وراحتك النفسية مع الشخص اللى هترتبطى بيه حياتك كلها، يعنى ماتفرضيش على نفسك حاجة مش هتريحك.

فكـرت هنـد كثـيرا فى حديثهـا مـع والدتهـا ولكنهـا لم تصـل لقـرار يريحهـا إلى أن ظهـرت النتيجـة وأتى فـارس لزيارتهـا.

- مبروك يا أحلى هند وعقبال فرحنا بقي.

- ابتسمت له هند فى حياء وقالت:

بصراحـة، التقديـر بتاعـى الـترم ده ماكنتـش متوقعـاه، ده رفعـلى التقديـر العـام جـدا.

- أنا وشى حلو عليكى أهوه.

- وأنا كمان وشى كان حلو عليك.

- طول عمرك أحلى حاجه فى حياتي.

- انت عامل ايه فى شغلك؟

- أكيـد طبعـا بعـد التثبيـت، وضعـى دلوقتـى اتغـير، بقيـت عـارف إن كل حاجـه باعملهـا وأتعـب فيهـا بتحسـب لى وبتحسـن وضعـي.

- هاه عقبالى يا رب لما ألاقى أنا كمان شغل كويس.

- نعم؟ شغل! شغل ايه؟

ضحكت هند وقالت:

يعنى هاشتغل إيه!مدرسة طبعا.

- بس إحنا ما اتفقناش على مسألة الشغل دي.

تلاشت ابتسامتها وقالت:

يعنـى إيـه؟ انـت جـاى تقـول الـكلام ده دلوقتـي؟ أنـا طـول عمـرى باحلـم بالتدريـس. دخلـت كليـة التربيـة؛ علشـان أحقـق حلمـى ده، وتيجـى انـت بـكل بسـاطة كـده تقـولى شـغل إيـه ومـا اتفقنـاش.

- أنا ماكنتش أعرف إنك عايزه تشتغلى بعد الدراسة.

- وأديك عرفت ممكن أعرف بقى موقفك.

- أنا قلت إننا ما اتفقناش، انتى فاجئتينى برغبتك دى دلوقتي.

- خلاص. نتفق اتفضل قول اللى انت عاوزه.

- أنا مش موافق على مسألة الشغل دي، وده كلامى النهائى،

- وأنا مش موافقة على رأيك ده، وده برده كلامى النهائى.

نظر إليها فارس بتحد وهو يجز على أسنانه ثم قال:

بعد إذنك أنا مضطر أمشى دلوقتي.

لم ترد هند؛ سيطرت عليها المفاجأه من تطور الموقف وانتهائه بتلك الطريقة ولم يفقها من صدمتها إلا صوت الباب وفارس يغلقه.

جلست هند فى ذهول غطت وجهه بكفيها وأخذت تبكى بشدة إلى أن خرجت والدتها على صوت بكائها.

- إيه يا هند مالك بسم الله الرحمن الرحيم. إيه اللى حصل؟ وفارس مشى ليه؟

كانت هند تبكى بشدة، حتى أنها لم تستطع الرد ولو بكلمه.

أخذتها أمها فى حضنها وأخذت تربت على كتفها؛ حتى تمنحها بعض الحنان لتهدئتها. وبعد أن هدأت هند قليلا، قصت على والدتها ماحدث.

- اهدى يا هند انتو كبرتوا الموضوع أوي، أسلوب نقاشكم كان غلط وانتى كمان انفعلتى بدون داعي.

- لأ يا ماما هو اللى عاندني.

- انتو الاتنين عاندتوا بعض، وده مش أسلوب للحوار. اهدى وبعد ماتهدى وهو كمان يهدى هيكلمك والموقف هيتصلح إن شاء الله.

- تفتكرى يا ماما هيكلمني؟

- إن شاء الله هيكلمك، بس أهم حاجه تبطلوا عند؛ العند بيهدم أى حاجة حلوة، ماتخليش لحظة غضب تهدم الحاجات الحلوة اللى اتبنت بالصبر والحب والمشاركة، العند بيهدم الماضى بالغضب، وبيدمر المستقبل بالندم.

كان لكلمات والدتها أثر طيب على نفسها، منحها بعض الراحة النفسية والهدوء، تلك الكلمات الطيبة التى اعتادت هند ألا تبخل عليها بها فكانت دواء ا شافيا لها دائما ورخصة مرور من أى ألم بسلام.

وفى نفس الليلة اتصلت عليها هبة.

هبة:

ألو. أيوه يا هند، جايبالك خبر بقى إنما إيه، مش هاقوله إلا لما آخد حلاوتي.

ردت هند ببرود:

خبر إيه ياهبة؟

- لأ أنا عايزه شوية حماس. إيه نبرة اليأس دي؟

- مفيش، أنا بس تعبانة شوية.

- طيب ياستى اسمعي؛ يمكن تخفي.

ثم تبعت الكلام بطريقة مقطعة؛ لتمنحه تشويقا أكثر:

أنا... لقيت... مدرسة كويسة وقدمت ورقنا فيها.

لم تجبها هند والتزمت الصمت، فقالت هبة مازحة:

إيه سكتى ليه؟ مش سامعة زغاريط ولا هيصة، إيه هتاكلى عليا حلاوتي؟

لم تستطع هند أن تمنع نفسها من البكاء.

- مالك يا هند فيه إيه يابنتي؟ ده عياط فرحة؟ ولا فى حاجة مزعلاكي؟

- فارس، فارس مش عايزنى أشتغل.

- نعم؟ هو هيعمل فيها سى السيد ولا إيه؟ لاا هو فاكر نفسه مين! هو عايز يمحى كيانك؟ طبعا ماتعبريهوش. أمال كنتى بتتعلمى السنين دى كلها ليه؟ علشان ييجى حضرته يفرض عليكى شروطه، ويقولك اشتغلى وماتشتغليش؟! بصى أنا خلاص قدمت ورقنا للمدرسة، عاجبه عاجبه مش عاجبه خلاص يبقى يتكل على الله. إذا كان من دلوقتى بيتشرط، أمال بعدين هيعمل ايه؟

بعد مكالمة هبة أعادت هند التفكير فى كلام والدتها وكلام هبة وقارنتهما ببعضهما، ووجدت فى نفسها ميلا لكلام هبة.

لاحظت والدتها تغيرها، فسألتها:

إيه يا هند هو فارس ما اتصلش؟

- يتصل ولا مايتصلش هو فاكر نفسه مين؟

- برده لسه بتعاندي! وكلامنا من شويه ده كان ايه؟

كان رد هند مجرد صدى صوت لما قالته لها هبة.

- هند ده مش كلامك. انتى كلمتى هبة؟

سكتت هند وكان سكوتها يحمل الإيجاب.

- اسمعى يا هند. مش كل الناس بيكونوا زى ما احنا مقدرينهم، ممكن تدى حد قدر معين وللأسف يخذلك، مش علشان هو سئ للدرجة دي؛ بس بتكون غلطتنا من الأول إننا إديناه قدر مش قدره. هبة لو بتحبك، كانت نصحتك مش زودت عنادك واستغلت غضبك لإشعال الموقف، وجايز تكون بتحبك، بس فى لحظة ضعف تملكتها الغيرة، وجايز برده تكون كانت قصدها تنصحك، بس خبرتها فى الحياة زى خبرتك بالظبط، فمش هتلاقى فى نصيحتها زيادة عن اللى بيدور جواكي. هند انتى مش عندك ثقه فى ماما؟

- طبعا يا ماما.

- أنا تجاربى فى الحياة أكتر منك ومنها، ومهمتى فى الحياة إنى أخليكى تستفيدى من التجارب اللى أنا عشتها؛ علشان أجنبك الأذى بقدر الإمكان. أنا اللى لازم تبقى واثقة دايما إنى مش هاغير منك، ولا هانصحك لمصلحتي. صح؟

نظرت إلى هند واحتضنتها بقوة وابتسمت وقالت ربنا يفرح قلبك دايما يابنتى ويجنبك أصدقاء السوء.

- ربنا يخليكى ليا يا ماما.

حوار هند الأخير مع والدتها أعادها إلى صوابها مرة أخرى، وردها عن عنادها ولم يمر إلا يوم واحد وتلقت اتصالا من فارس:أنا آسف.

- أنا كمان آسفة.

- طيب طالما فى تفاهم كده، أنا وصلت لحاجة جايز تبسطك.

ثم أتبع:

أنا موافق إنك تشتغلي، بس ليا طلب، ممكن؟

- اتفضل.

- مش عايز شغلك يؤثر خالص على حياتنا وتوعديني إنك ماتقصريش فى مسئولياتك علشان الشغل.

- طبعا طلبك ده مفروغ منه من غير ما تطلبه. أنا عارفه حقوقى وواجباتى كويس.

- طيب أنا ليا طلب كمان، لو جيتى على مسئولياتك علشان توفى شغلك، ساعتها من حقى إنى أطالبك إنك تسيبى الشغل.

- إيه؟ طبعا أنا مستحيل أقصر فى مسئولية على حساب التانية.

- خلاص يبقى اتفقنا.

شعرت هند بالتحدى ولذلك وافقت على طلبه.

أتبع فارس:

أسيبك بقى دلوقتي، ومش عايزك تبقى زعلانة من حاجة، وعايزك دايما تفتكرى إنى عايش علشان أسعدك. باى يا أحلى هند.

أغمضت هند عينيها فى سعادة، حتى أنها كادت تقبل هاتفها. كم كانت غبية حينما عاندته وعندما استجابت لكلام هبة. تمنت لو أنها احتضنت كل ماحولها؛ لربما شعر بكم السعادة داخلها، وقفت على سرسرها وأخذت تقفز عليه كطفلة صغيرة حصلت على حلواها المفضلة.

بعدها استسلمت هند لنوم عميق وهى على أتم استعداد لاستقبال اليوم الجديد بكل حماس.

حينما استيقظت هند فى الصباح هاتفت هبة؛ لتخبرها بقرارها الجديد، وعندها أخبرتها هبة أنه عليهما الذهاب إلى المدرسة فى الغد؛

لاستلام عملهما فى المدرسة، وعليها العمل شهرين تحت الاختبار، وبعدها تقرر المدرسة عمل عقد لهما من غيره.

أخبرت هند والدتها بتلك الأخبار الجديدة، سعدت أمها كثيرا؛ لتحسن أحوال هند، وتمنت لها عملا موفقا.

فى اليوم التالى تقابلت هند وهبة، وفى طريقهما إلى المدرسة دار بينهما ذلك الحوار، الذى بدأته هند قائلة:

ماقولتيليش عرفتى المدرسة دى منين؟

- دى مدرسة خاصة، واحدة تعرف ماما، ابنها طالب فيها، وهى علاقتها كويسه بالمديرة، كلمتها وأخدت ورقنا للمديرة، وبعدها كلمتنى وقالتلى إن النهارده نقدر نروح.

- على العموم ربنا يسترها؛ أصلى حاسة إن أنا داخلة معركة مع فارس.

بعدها ساد الصمت حتى وصلا المدرسة

قابلتهما المديره بترحاب شديد وكانت قمة فى التواضع.

- أهلا بيكم فى مدرستنا.

هند وهبة:

أهلا بحضرتك،

- فى الحقيقة، أنا باشجع الشباب المجتهدين جدا، ويهمنى طبعا إن مستوى مدرستى دايما يكون فى القمة، إن شاء الله هنختبركم معانا شهرين، وأتمنى إن النتيجة تكون كويسة.

هند:

إن شاء الله.

- تقـدروا تتفضلـوا دلوقتـى عنـد مـدام سـمية؛ هتعرفكـم الجـدول والنظـام.

اتجهـت هنـد وهبـة إلى حجـرة المدرسـين وتعرفـا عـلى نظـام الإدارة، وكان عليهـما تسـلم الحصـص فى اليـوم التـالي.

شـعرت هنـد بأنهـا خطـت أول خطـوة لهـا فى تحقيـق حلمهـا والتـى تعـد أصعـب خطـوة فى الطريـق وهـى بمثابـة أول ضربـة فى صخـرة إمـا أن تكـون ضربـة قويـة فتضعـف تماسـك الصخـرة وإمـا أن تكـون الصخـرة أقـوى فترتـد إليـك الضربـة لتقتلـك وقـد قـررت هنـد أن تكـون ضربتهـا الأولى قويـة تفتـت صخـرة التحـدى وليسـت فقـط تضعفهـا، وشـعرت بسـعادة داخليـة، رسـمت عـلى وجههـا ابتسـامة رقيقـة.

هبه:

إيه بتضحكى على إيه؟

- أصلى مبسوطة من اللى حصل النهارده؛ بداية توحى بالأمل.

- دى مجرد بداية، ماتستعجليش.

- إيه التشاؤم ده! طب سيبينى أعيش اللحظة.

- عيشيها يا حبيبتى وخدى راحتك.

- خـلاص بقـى قضيتـى عـلى الأمـل جوايـا. بـاى نتقابـل بقـى بكـره إن شـاء اللـه.

وصلـت هنـد إلى منزلهـا، وأول ماقامـت بـه توجهـت لوالدتهـا، وكعادتهـا أخبرتهـا بأحـداث اليـوم كلـه.

لكـن الغريـب أن ليلتهـا لم تكـن هادئـه كـما توقعـت، فهـا هـى سـعيدة وتخطـو نحـو تحقيـق حلمهـا، ولكـن الكابـوس المعتـاد حرمهـا تلـك السـعادة.

استيقظت هند بمزاج سيئ، ولم يهون عليها إلا دعوات والدتها.

شيء ما كان يقلقها، شيء ما بداخلها ينذرها من مجهول.

حاولـت تجاهـل القلـق، وتابعـت فى طريقهـا إلى المدرسـة مـع صديقتها هبة .

هبة:

انتى عندك كام حصه النهاردة؟

- الحصه التانية والرابعة.

- أنا عندى الأولى والتانية، هاستناكى ونروح سوا.

- طب أنا هاروح فين الحصة الاولي؟

-هتقعـدى فى أوضـة المدرسـين. إيـه متوتـره كـده ليـه؟ اهـدى ده انتـى هتشرحـى حاجـات بسـيطة لأطفـال مـش حاجـة يعني.

- ربنا يستر.

توجهـت هبـة لفصلهـا، وتوجهـت هنـد لحجـرة المدرسـين وكل خطـوة تخطوهـا كانـت تزيـد فى مكيـال خوفهـا صاعـا.

تقدمـت إليهـا مدرسـة فى الثلاثـين مـن عمرهـا، وسـألتها: انتـى مدرسـة جديدة؟

ابتسمت لها هند فى رقة: أيوه اسمى هند.

- وأنا وفاء. أهلا بيكى فى مدرستنا.

- شكرا.

- ثوانى هاروح أمضى حضور، وأرجعلك نتعرف براحتنا.

- أنا ما مضيتش حضور.

- تعالى معايا نمضي، ونرجع ندردش سوا.

توجهت معها هند إلى حجرة مجاورة، وعندها شعرت بقبضة، شيىء ما يمنعها من التقدم، رغما عنها تقدمت، وهناك رأت ما جعل دقات قلبها تتوقف وتوقف معها تفكيرها.

الفصل الثالث

هـل مـا تـراه حقيقـة، أم أن الخيـال يتلاعـب بهـا؟ لا، إنه بالفعـل هناك يجلـس فى ركـن بعيـد منهمـك فى عمـل مـا. إنـه... إنـه بطـل كوابيسـها..... إنـه عبـد العظيم.

لم تقـم هنـد إلا بمـا أمـلاه عليهـا الصـوت المجهـول داخلهـا، اسـتجابت لندائـه وتجاهلـت صـوت العقـل، توجهـت إليـه فى ثبـات وجمعـت عذابهـا لسـنوات وكسرتهـا وضعفهـا فى صفعـة قويـه، وبعدهـا سـكن كل شىء..... وكانـت هـى ثابتـة كجـماد.

توجهت إليها وفاء بلهفة:إيه اللى حصل؟ فى إيه؟!

صرخ عبد العظيم وهو يضع يده على وجهه من أثر صفعتها:

دى مجنـون. انتـو شـوفتوا واللـه ماعملـت فيهـا حاجـه دى مجنونـه شـايفين ضربتنـى ازاي.

كادت هنـد أن تسـقط أرضـا لـولا وفـاء التـى أسـندتها وأجلسـتها عـلى مقعـد قريـب. وبالطبـع حـضر القـاصى والـداني، وهـى بـلا حـراك بـلا صـوت تنهمـر دموعهـا بـلا أنـين، أنينهـا مكتـوم.

وحضرت هبة بلهفة: إيه اللى حصل؟ فى إيه؟

وفاء: مش عارفة.

عمت الفوضي، هنا مدرسة تتساءل وأخرى تقص عليها ما لم تره وعويل عبد العظيم وبكاء هند، وانتهى الموقف بأن أخذتها هبة ورحلت.. وصلت هند لمنزلها بصحبة هبة، واستقبلتها والدتها بفزع حين رأت وجهها الشاحب وأطرافها المتراخية: هند! مالك فى إيه؟!

- أبدا ياطنط مافيش، سيبيها بس تستريح شوية.

دخلت هند حجرتها بمساعدة والدتها وهبة وخرجتا وتركتاها تستريح.

- إيه ياهبة هند مالها؟ ردى عليا.

- أنا روحت أدى حصة وسيبتها فى أوضة المدرسين وبعدها بشوية سمعت زعيق ودوشة خرجت أشوف فى إيه لقيتها بتعيط والمدرسين متجمعين وعبد العظيم موجود.

- عبد العظيم مين؟ ... تقصدى عبد العظيم بتاع...

- أيوه ياطنط.

جلست والدة هند واضعة يدها على فمها من أثر الصدمة.

- أستأذنك ياطنط أنا لازم أروح وهاطمن عليها بعدين.

خرجت هبة، وتوجهت والدة هند لتطمئن على ابنتها وتشد من أزرها، ولكنها وجدتها تغط فى نوم عميق، ففضلت أن تتركها تنام، وحينما تستيقظ ستتكلم معها فيما حدث.

مرت ساعتان ودخلت والدة هند لتوقظ ابنتها: هند هند.

بصوت ناعس أجابتها هند:نعم يا ماما. اصحي. فارس اتصل وقال إنه جاى دلوقتي.

نظرت إليها هند بعينين بائستين ولم ترد.

- هند أنا سمعت اللى حصل من هبة، بس عايزة أسمعه منك.

تجمعت الدموع فى عينيها وتحجرت الكلمات على لسانها، احتضنتها أمها بقوة وبكت على بكائها وقالت:

أنا حاسة بيكى والله حاسة بيكى وعارفة بتفكرى فى إيه وإيه اللى دفعك للى عملتيه بس اللى أنا أعرفه إنك أقوى من كده، وانتى كمان عارفة إن ربنا لا يكلف نفسا إلا وسعها، وده اختبار ليكى من ربنا وإن شاء الله هتجتازيه. وعايزاكى تفتكرى دايما إن أى حد لو بيحب بجد بيسامح اللى بيحبه وبيفهمه حتى من غير مايتكلم لأن الحب مشاعرومهما كانت الكلمات جميله عمرها ما ترتقى لوصف المشاعر بصدق مية فى المية. أنا عارفة إنك مستغربة كلامى دلوقتى بس بعدين هتفهمى قصدى كويس. هاسيبك دلوقتى تغيرى هدومك قبل ما فارس ييجي.

بعد أن خرجت والدة هند أخذت هند تفكر فيما قالته والدتها، كانت تفهم قصدها جيدا وذلك ما أشعرها بالخوف، تعلم أنها تعدها لاستقبال رد فعل فارس إذا كان علم بما حدث، فما الذى يأتى بفارس على غير موعده إلا ذلك؟ وماذا سيكون موقفه؟

سمعت هند من غرفتها طرق الباب ثم صوت والدتها ترحب بفارس، حينها تسارعت دقات وأخذت تتسارع حتى شعرت بقلبها يكاد يتوقف.

خرجت هند إليه. وجدت تعبيرات وجهه جامدة وينظر إليها بعينين ثابتتين. شعرت بنظراته تخترقها، وساد الصمت قليلا إلى أن كسره قائلا: ممكن أسمع تفسير حالا للى حصل.

- إيه اللى حصل؟

رد عليها بعصبية: أفندم! حضرتك مش عارفة إيه اللى حصل منك النهارده فى المدرسة؟!

-لأعارفه، بس مندهشة إنك عارف.

رد ساخرا: - مندهشة؟! على أساس إن اللى عملتيه ده عادى جدا وطبيعى وبيحصل فى حياتنا اليومية عادي.

- لو سمحت من غير تريقة.

- يا أستاذة يا مبجلة اللى عملتيه النهارده ده الكل بيتكلم عنه، مش واخده بالك ولا إيه؟

انفعلت هند قليلا: قولتلك من غير تريقة.

أتبعت بنبرة أشبه بالبكاء:وبعدين كنت فاكرة إن أسلوبك وموقفك هيبقوا مختلفين خصوصا إنك عارف أنا عملت كده ليه.

- ما هى المصيبة إنى عارف وكنت فاكرإن اللى حصل زمان

غيرك وغير تفكيرك بس للأسف خيبتى ظنى.

نزلت دموعها واختنق صوتها: خيبت ظنك؟!

ثم أتبعت فى انفعال: ما انت لو عشت السنين اللى أنا عشتها وأنا تقريبا ميتة مش حاسة بطعم أى حاجة فى الدنيا غير الانكسار، لو جربت إنك تعيش سنين مش عارف تنام ولما النوم يغلبك الكوابيس تنغص عليك حياتك. اللى حصل زمان ما نسيتهوش لأنى كنت بشوفه كل يوم فى كوابيسى بس كنت فاكراك هتفهمني، كنت فاكراك هتحس بيا أنا النهارده لأول مره أنام من خمس سنين فاهم يعنى ايه؟

توقفت هند عن الكلام وأخذت تجهش بالبكاء

- اسمعى آخر فرصة ليكي، أنا قبل ما تشتغلى شرطت عليكى إن شغلك ما يأثرش على حياتنا وواضح طبعا إن حياتنا اتنيلت مش بس باظت أنا مش عارف إذا كنت هاقدر أتغاضى عن اللى حصل النهارده

ولا لأ، ولو قدرت مش عايز أسمع موضوع الشغل ده تاني. أنا هافكر وهاحاول آخد قرار وبعده هاعرفك قرارى وهاسمع اختيارك.

خرج فارس وتركها جامدة مكانها، ودموعها تنساب على خديها.

خرجت إليها أمها وجلست إلى جوارها ثم أخذتها فى حضنها، نظرت إليها هند وهى تبكي، ولكن صوتها اختنق فلم تستطع أن تتكلم، فبادرتها أمها قائلة: أنا عايزة أسمعك عايزة أعرف بتفكرى فى إيه دلوقتى عايزة أسمع قرارك.

تمالكت هند نفسها قليلا وقالت: مش عارفة يا ماما.

ثم عادت لبكائها مره أخرى.

- لأ مش ده الرد اللى منتظراه منك، أنا من الأول قولتلك إنها فترة اختبار ومن الأول برده كانت تحكماته باينة أوى لما اختار الفستان والدبلة على ذوقه وقلت معلش نديله فرصة لما لقيتك موافقة عليه، إنما ده فكر يسيبك فى أول مشكلة واجهتكم وبدل مايقف جنبك جرحك أكتر، ولسه بتقولى مش عارفة! منتظرة منه إيه تاني؟

لم تجب هند واكتفت بالبكاء.

- خلاص، استريحى دلوقتى شوية وبعدين نتكلم وتكونى فكرتى كويس.

حاولت هند أن تستسلم للنوم، ولكنها لم تستطع وظلت أفكار عديدة

تدور بخلدها وتحاصرها وتمنع عينيها من النوم إلى أن قطع تفكيرها اتصال من هبة: - ألو، هند هند.

اختنق صوت هند حاولت التماسك، ولكن البكاء غلبها وأخذت تجهش بالبكاء مرة أخرى.

- هنـد انتـى بتعيطـي؟ طـب اهـدى شـوية علشـان نعـرف نتكلـم، إيـه الـلى حصـل بـس؟ أنـا كنـت فاكـرة إن أعصابـك ممكـن تكـون تعبانـة شـوية بس مـش للدرجـادي.

جاء صوت هند ضعيفا: فارس عايز يسيبني.

- نعم؟ ليه إيه اللى حصل؟

- علشان اللى حصل النهاردة.

- لأ بقـى بصراحـة ده زودهـا أوي، أنـا مـن الأول مـا كنتش مسـتريحاله، ده ترميلـه الدبلـة فى وشـه هـو كان يطول.

عـادت هنـد للبـكاء مـرة أخـرى وقالـت: بـس أنـا مـش متخيلـة حيـاتى وهـو مـش فيهـا.

- بـصى أنـا عارفـة إنـه صعـب عليـكى بـس ده مايسـتاهلكيش ماتسـتنيش هـو يسـيبك، انتـى أحسـن منـه ١٠٠مـرة.

- أنا هاقفل معاكى ياهبة وهاكلمك تاني.

- ماشى بس مش عايزاكى تزعلى نفسك، مع السلامة.

جلسـت هنـد تفكـر قليـلا، قـررت أن تتصـل بـه، لعلـه يكـون هـدأ قليـلا، وربمـا تسـتطيع مناقشـته بأسـلوب أفضـل ولكـن هاتفه كان مشـغولا. حاولـت الاتصـال بـه مـرة أخـرى، ولكـن تلـك المـرة كان هاتفـه مغلقـا. تـرى هـل أغلقـه حتـى لا يتلقـى منهـا أى اتصـال؟ أم أنـه أغلقـه حتـى يتيـح لنفسـه هـدوءا يمكنـه مـن التفكـير السـليم؟

دارت الكثير من الافكار برأسها، ولكن لم تزدها إلا حيرة ويأسا.

وظـل الحـال كـما هـو يومـين، فـارس لا يتصـل وهاتفـه دائمـا مغلـق وهنـد تـزداد يأسـا وذبـولا، ولم تكـن تـترك هاتفهـا أبـدا تقـضى أغلـب وقتهـا

تراقبه تنتظره يرن، ولكن بلا نتيجة، وأمها بلا حيلة تحاول تخفيف مابها، ولكن بلا نتيجة، إلى أن رن هاتفها فهرعت إليه، ولكنه كان رقما غريبا، ترددت قليلا ثم قالت لنفسها ربما يكون فارس. ولذلك ردت على الهاتف، ولكن أتاها صوت رجل غريب:

إزيك ياهنودة؟

- مين معايا؟

- تؤتؤ، معقول مش عارفة صوتي! ده انتى حتى صوابعك لسه معلمه على وشي.

عندها عرفته هند، فردت بانفعال: انت إزاى ياحيوان تتصل عليا وعرفت رقمى منين؟

رد عليها ببرود: لأ أرجوكى ماتنفعليش، الانفعال مش حلو عليكي.

ثم ضحك بسخرية، أنهت هند المكالمة وشعرت بجسدها يرتعش من العصبية.

ياله من حقير لو أنها تمكنت من ضربه مرات أخرى لما ترددت لحظة. وتلك المكالمة أكدت لها أنها لم تفعل إلا صوابا حينما صفعته، ربما أغضب ذلك فارس، لكنها واثقة من حبه وواثقة أنه لن يتخلى عنها، وكيف يتخلى عنها وهو موجود ليسعدها؟ أليس ذلك وعده لها؟ تجمعت الدموع فى عينيها وفرت منهما إلى خديها وشعرت بغصة فى حلقها تكاد تخنقها.

فى تلك اللحظة فتحت والدتها باب الحجرة ووقفت عنده تنظر إلى هند، وارتسمت على وجهها ابتسامة عطف، ثم تقدمت وجلست إلى جانب هند وضمتها إليها وقبلتها من جبينها وقالت:

تعرفى انتى أحسن حاجه حصلتلى فى دنيتي، أنا سخرت حياتى كلها ليكى ومش بأقول كده علشان أبينلك قد إيه تعبت لأ، بالعكس ده أحسن إنجاز ليا فى حياتى كلها، أنا كنت فى يوم قدك وكانت ليا نفس طموحاتك وأحلامك بس لما اتجوزت باباكى كنت واخده بالى إنه هيكون أبو أولادى مش بس زوج ليا وكان لازم أختار لأولادى دول أب يفتخروا بيه ويكون شخص عظيم ويحترمني، مش يسمعنى كلامه المعسول لما يكون رايق ولما يتضايق يهينني، كان نفسى كمان تكون ليا وظيفة أحقق ذاتى من خلالها، بس لما خلفتك كنتى انتى ذاتى وكيانى وكل ما أملك، قررت إن حياتى تكون ليكى وبس، من خلال تربيتى الصحيحة ليكى هاحقق ذاتى هاشوف نجاحى فى نجاحك وبعد ده كله عايزانى أشوف شخص همجى بعجرفته وسوء تفكيره يهدم كل اللى بنيته! ده أنا كنت كلته بأسناني، أنا هأقولك على أمانه طول الوقت شايلاها معاكى ودلوقتى لازم أنبهك ليها، الأمانة دى هى انتي، هى سهرى وتعبى وشبابى وعمري، عايزاكى تحافظى عليها أوي، ماتخليش حد يكسرك ولا يقهرك، هتمر بيكى لحظات حزن ولحظات فرح بس أهم حاجة إياكى تستسلمى ليأس أو لضعف. جايز تكونى اتعلقتى بيه وده طبيعي، إنما هو كمان كان المفروض شاريكي، بس العكس هو اللى تم إثباته، ده شخص ماقدركيش وانتى يابنتى مش قليلة، اختارى اللى يشتريكى ويعرف قيمتك، انتى هتختارى شريك حياتك كلها وإياكى تسيئى الاختيار. أنا مريت بأزمات كتير فى حياتي، لكنى كنت بأحمد ربنا إنى مريت بيها، علشان أنقلك منها خبرتى وأجنبك سلبياتها وأذاها، وقلتلك يابنتى انتى نجاحى وشبابى وإياكى تضيعى شبابى ونجاحى فى لحظة طيش أو سوء اختيار منك.

كانت دموع هند قد توقفت تماما وبدا عليها الاستجابة المطلقة لكل ماقالته والدتها. نظرت لأمها بإعجاب وقبلتها واحتضنت كل منهما الأخرى بشدة.

اقتنعت هند بكلام والدتها كثيرا فمن يهون عليه جرحك اليوم سيهون عليه قتلك غدا، ولكنها مقتنعة أيضا أن الجرح سيأخذ وقتا حتى يلتئم تماما وليخرج فارس من حياتها خروجا لا رجوع منه.

مر أسبوع آخر ولم يتصل فارس، ولم تكن هى تنتظر منه اتصالا، فهى الآن أفضل حالا وستلتفت لنفسها.

وكان ذلك قبل أن تتلقى اتصالا آخرا من رقم غريب،

لم تتردد فى الرد، فربما يكون فارس، فتلك فرصة لتخبره بقرارها، ولكن أتاها الصوت نفسه السابق: أنا قلت أتصل من رقم تانى علشان تردي.

عبد العظيم مرة أخرى. كادت أن تنهى المكالمة الى أن أوقفها صوته: استنى ما تقفليش أنا بس كنت جايبلك أخبار عن حبيب القلب بس مش هاقولهالك دلوقتى بس لما هتعرفيها ساعتها هتعرفى إنى أحسن منه واحتمال تتجوزينى أنا.

ثم أتبع جملته بضحكة ساخرة مثيرة للاستفزاز، وحينها لم تتردد هند فى إغلاق هاتفها وإنهاء المكالمة مع ذلك الأبله، ولكنها لاتنكر أن مكالمته شغلت تفكيرها وانتظرت بالفعل الأخبار الجديدة.

وبعدها بعدة أيام تلقت رسالة من عبد العظيم: «أنا قلت إنك مش هتردى تانى على مكالماتى فقررت أبعت الرسالة دى روحى دلوقتى عند هبة وانتى تعرفى تفاصيل كل حاجه سلام ياهنود»

حاولت هند أن تتصل بهبة، لكنها لم تجب مما أقلقها أكثر، هل تسمع كلامه وتذهب إلى هند؟ أم أنه يتلاعب بها أو يريد إيذاءها؟ ، ولكن فضولها غلب على تفكيرها وقررت الذهاب إلى هبة.

كان الوقت ليلا وأمها نائمة ووالدها كان قد حضر لتوه من الخارج، أخبرته أنها ستذهب لهبة وستعود حالا ورحلت.

كانت تتلفت حولها ونبضات قلبها تتسارع، وتملك الخوف منها، وكانت تنتظر أن يخرج عبد العظيم من أى شارع جانبى لإيذائها إلى أن وصلت لبيت هبة وهناك كانت تنتظرها مفاجأة لو قضت عمرها كله تتوقعها لما خطرت لها على بال، هبةوفارس ومدعوون و....شبكة. شعرت هند بأنها فقدت إدراكها للحظات، تراجعت خطوات إلى الوراء استندت إلى الحائط. إن ماتراه حقيقة، ولكن أكبر من أن تستوعبها، صديقة عمرها تخطب الآن لخطيبها.

لم تشعر هند بنفسها ولا بقدميها اللتين حملتاها جريا إلى الشارع بلا مقصد بلا هدف، هائمة لاتدرى لها وجهة، حتى تملكها الإرهاق، فجلست على رصيف، ووضعت وجهها بين كفيها ولم تتمالك نفسها من شدة البكاء. كيف تم ذلك؟ كيف تخونها صديقتها؟ وكيف تجرأهو أن يؤذيها بتلك الطريقة؟ إن كان يريد خطبة هبة من البداية لم تقدم إليها هي؟! هل كانا يتلاعبان بها منذ البدايه؟

الآن لاتريد التفكير بأى شيء سوى أن تلقى بنفسها فى حضن أمها، لتفيض فيه آلامها، وربما تفقد عقلها قبل أن تصل لبيتها.

جرت قدميها وتحاملت على نفسها، وعندما وصلت لمنزلها وجدت مفاجأة أخرى وكانت القاضية.

الفصل الرابع

باب الشقة مفتوح على مصراعية، ثلاث نساء من الجيران يجلسن فى الصالة، منهن من تبكى ومنهن من تنوح، ووالدها يجلس فى ركن، نظرت إليه نظرة تساؤل، ربما كف عنها حيرتها، ولكنها وجدته كطفل تائه فقد أمه لتوه والدموع تنساب على خديه بلا توقف، وليست أمها من بين هؤلاء، انهالت عليها مئات الأفكارالمرعبة فى لحظة، وامتلأت عيناها بالدموع.

نظرت لغرفة والدتها واتجهت إليها فى خطوات ثقيلة ونظرت إلى سريرها، لم وجهها مغطي؟ ولم تجلس تلك السيدة إلى جانبها تبكى وتمسك بمصحف؟

توقف كل شىء، تفكيرها وحركتها وربما قلبها أيضا، لم تشعر بنفسها إلا وهى تلقى بنفسها على والدتها وتكشف عنها الغطاء وتصرخ: ماماااا لأ لا يا ماما رايحة فين وسايبانى لوحدى هنا؟ أنا ما أعرفش حد فى الدنيا دى غير... غير حضنك.

حاولت النساء الموجودات إبعادها عن والدتها أو تهدئتها، ولكن ذلك لم يزدها إلا صراخا: سيبونى عايزين تاخدوها منى ليه؟ حوشيهم يا ماما ابعديهم عني، خدينى فى حضنك.

ارتمت فى حضنها حاولت أن تلف ذراعى والدتها حول عنقها، وتمسكت بوالدتها بشدة، وحين تراخى ذراعى والدتها، زاد صراخها.

أتى والدها وأبعدهن عنها وتركها وحدها مع والدتها وخرج.

نظرت لوجه أمها والدموع تتساقط بغزارة من عينيها وجلست إلى جوارها واحتضنتها وانهارت من البكاء: كده يا ماما كده سيبتينى وانتى عارفة إنى ماليش غيرك هنت عليكى يا ماما؟ أنا ماكنتش عايزة من الدنيا دى غيرك يا ماما، احضنينى يا ماما أنا محتاجة حضنك أوي.

ارتمت فى حضن والدتها ثم فقدت وعيها، ولم تفق إلا فى المستشفي.

لا تعلم كم مر عليها من أيام وهى فاقدة للوعي، تأبى الرجوع للحياة، ولم تعود إليها وتلك الحياة قد لفظت روحها -أمها-التى كانت تمنحها أسباب الحياة؟ نظرت حولها ربما وجدت أمها تجلس إلى جوارها تربت على كتفها أو تمرر أصابعها من بين شعرها أو تطبع قبلة حانية على جبينها، ربما كانت فى كابوس آخر، ولكنها لم تجد إلا والدها يجلس بعيدا هزيلا ضعيفا كمن تملكه المرض وأقسم ألا يتركه إلا عاجزا. انسابت دموعها على خديها وأجهشت بالبكاء، هرع إليها والدها وقبلها فى جبينها وأخذ يحمد الله كثيرا وهو يبكي: الحمد لله الحمد لله حمدا لله على سلامتك يابنتي، كده تقلقينى عليكى يابنتي.

نظرت إليه هند فى ضعف، وجال بخاطرها الكثير من الأفكار ولكنها ستتغاضى عنها مؤقتا.

بعد عدة أيام سمح لها بالخروج مع نصائح بالهدوء والراحة من أجل تحقيق الاستقرار النفسي.

اصطحبها والدها وأمسك بيدها بسعادة كمن يصطحب طفلته ذات الثلاث سنوات فى نزهة. عادت الأفكار التى تغاضت عنها منذ

عدة أيام إليها مرة أخرى أين كان هو من حياتها السابقة؟ أين كان يختفى ثم يعود إلى البيت كضيف ليرحل مره أخرى رغم أنه على المعاش المبكر؟ إلى أين كان يذهب ويتركها ووالدتها وحدهما رغم الحب الملتهب بينه وبين والدتها الذى كانت والدتها دائما ما تحكى عنه؟ وهل سيعود إليها الآن وسيعوضها عن غيابه السابق؟

وصلا إلى البيت أخيرا وشعرت هند بتثاقل خطواتها نظر إليها والدها وحثها على المسير بابتسامة رقيقة.

لأول مرة لن تكون والدتها بالداخل، رغم أنها فى أشد الحاجه الآن إلى حضنها، هكذا هى الدنيا تجود عليك بالنعمة وحين تدرك قيمتها، تصدمك الحياة بجدار الألم لتضعف قبضتك على النعمة وتفلتها من قبضتك إلى الأبد. سالت دموعها على خديها فى هدوء وهى تخطو أولى خطواتها إلى داخل الشقة. نظر إليها والدها فى حنان ثم ابتسم وقال لها مازحا فى محاولة منه للتخفيف عنها:

أهلا بالأميرة هند فى منزلنا المتواضع، اتفضلى حضرتك لقد قمنا بإعداد غرفة لسيادتكم ودقائق معدودة ويكون الغداء جاهز، كفاية أكل المستشفى اللى بوظ معدتنا.

ابتسمت له هند، لقد نجح بالفعل أن يضحكها ويحولها عن حزنها. دخلت هند إلى حجرتها، وتملكتها أفكارها مرة أخرى.

يبدو أن والدها يبذل ما فى وسعه للترويح عنها وإسعادها، شعرت بأنها لأول مره تتعرف عليه، وحنانه عليها أعطاها أمل فى حياة قادمة مستقرة.

كل يوم كان يمرعليها كانت تزداد تعلقا بأبيها الذى رأت فيه العوض، وكانت حالتها النفسية أقرب إلى الاستقرار.

وفى يـوم بينـما كانـت تجلـس وحدهـا سـمعت طرقـا عـلى البـاب وعندمـا فتحـت وجـدت هبـة أمامهـا ترتـدى ثوبـا أسـودا، حاولـت هنـد أن تتمالـك أعصابهـا وألا تنفعـل عليهـا؛ حتـى لاتشـمت فيهـا.

بادرتها هبة ببرود: ياترى هتقوليلى اتفضلى ولا..؟

بادلتهـا هنـد نفـس البـرود قائلـة: وهـو انتـى محتاجـة عزومـة لدخـول البيـت الـلى ياما كلتـى فيـه عيـش وملـح؟

- أنا عارفة إنك مكن تكونى متضايقة مني، إنما الواجب واجب.

ابتسـمت لهـا هنـد بسـخرية: لأ وانتـى بصراحـة أهـل للـذوق والواجـب.

- مـش باقولـك شـكلك متضايقـة. انتـى عارفـة كويـس إن فـارس ماكانـش مناسـب ليـكي.

- صـح معـاكى حـق أشـكالكم دى فعـلا لايقـة عـلى بعـض جـدا، إنمـا أنـا أسـتحق الأحسـن منـه، أنـا مـش عارفـة إزاى أصـلا وافقـت عليـه.

ردت هبةبانفعـال: ااه شـكلك بقـى هتخبطـي، الـلى ماتعرفيهـوش إنـه كان بيحبنـى أنـا مـن أيـام الثانـوي، وكان واعـدنى إنـه هيتجـوزنى أنـا، واتفاجئـت لمـا قولتيـلى إنـه اتقدملـك وحاولـت أبعـدك عنـه بـس انتـى بغبائـك الـلى أصريتـى إنـك توافقـى عليـه.

تملكت المفاجأة من هند، ولكنها حاولت إخفاءها وردت بثبات:

الحقيقـه بقـى إنـه لمـا سـابك واتقدمـلي- زى مابتقـولى -دى كانـت محاولـة منـه إنـه يتحسـن وللأسـف كانـت محاولـة فاشـلة، لأنـه حـن فى النهايـة لأصلـه.

نظرت إليها هبة بحقد وقالت بانفعال شديد: طول عمرك شايفة نفسك أحسن مني، طبعا بتلبسى أحسن منى جبتى مجموع أعلى منى فى الثانوية العامة رغم إننا دخلنا نفس الكلية، بس انتى دخلتيها لأنك عايزاها وبقرارك مش بقرار التنسيق.

غلبها البكاء ولكنها تابعت: مامتك أحسن من مامتى وباباكى أحسن من بابايا وعايشين حياة سعيدة، ماعشتيش اللى عشته وفى الآخر الشخص اللى حبيته يسيبنى ويتقدملك انتي.

تمالكت نفسها قليلا ثم تابعت: أنا كل اللى عملته إنى استرديت جزء من حقى ومش شايفة إن دى حاجة تضايقك، انتى مليون حاجة غير فارس تبسطك وتضيعى وقتك فيها إنما أنا ماليش غيره.

- خلصتى كلامك؟ أنا ما أنكرش إنى متفاجئة بكم الحقد اللى جواكى ده، مع إنك كنتى صاحبتى الوحيدة بس علشان تعرفى فارس بتاعك ده مش حاجة يتزعل عليها ولا تتبكى وإذا كان رجعلك؛ فده لأنى أنا اللى رميته يعنى انتى برده ما أخدتيش غير حاجة زيادة عن حاجتي.

مسحت هبة دموعها وابتسمت لها بحقد: أفاجئك أنا بقي، أنا كنت باكلم فارس وهو خاطبك وأنا اللى عرفته باللى حصل فى المدرسة مع عبد العظيم، وأنا اللى قلتله يقفل رقمه خالص علشان كنت عارفة إنك ممكن تأثرى عليه بأسلوبك الناعم اللى أنا عارفاه كويس، لأ وإيه كمان أنا اللى اديت رقمك لعبد العظيم علشان يعرفك ميعاد خطوبتنا.

شعرت هند بصدمة، وكادت أن تسقط أرضا، ولكنها تمالكت نفسها. أتبعت هبة ساخرة: أعمل إيه ماكان لازم أعزمك على خطوبتي.

شعرت هند أن قدميها غير قادرتين على حملها، ولكنها تظاهرت بالبرود: وخدتى اللى انتى عايزاه؟ بس عايزاكى تعرفى حاجه لا انتى ولا هو فارقين معايا فى حياتي، بيكم من غيركم هاكون.

- ياريت، أتمنالك التوفيق من قلبي.

كانت تلك جملة هبة الأخيرة قبل أن ترحل وتترك هند فى صدمتها.

شعرت هند بدوار استلقت إلى مقعد قريب وحاولت أن تسترخى وتستوعب كل ماحدث بهدوء حتى لا تفقد صوابها فالمصائب حين تحل، تحل تباعا، ودون أن تطرق بابا ستنفد إليك أينما كنت.

كانت هند تشعر بأنها تفتقد أمها كثيرا، ولكنها وجدت عزاءها فى والدها، رغم أنه كان يغيب كثيرا عن البيت كعادته، فإنها تعلقت به بشدة واعتبرته ملجأ لها وعوضا.

وبعد مرور شهر على وفاة والدتها تفاجأت بوالدها يطلب أن يحادثها فى أمر هام.

- هند عاوز أتكلم معاكى فى موضوع مهم وكل اللى طالبه منك إنك تسمعينى للآخر وتحاولى تفهميني.

- اتفضل يابابا.

بدا عليه الارتباك قليلا، ولكنه استجمع قواه: انتى عارفة أنا كنت باحب والدتك أد إيه.

هزت هند رأسها موافقة، فأتبع والدها: أنا هاتجوز...

شعرت هند كأنها قذفت بحجر ثقيل، صدمة أخرى تضاف إلى جملة الصدمات التى تستهدفها لتنال من صفو حياتها ولتؤرق مضجعها.

قاطعته هند بانفعال: تتجوز؟ تتجوز على ماما؟! انت بتقول إيه؟

-هند انتى وعدتينى إنك تسمعينى للآخر..

قاطعته هند وهى تبكي: هو ده الآخر وهى دى النهاية، نهاية حبها ليك والحب اللى انت ماحبتهوش ليها، إزاى بتتكلم عن حبك ليها وانت فكرت إنك تتجوز قبل حتى مايعدى على وفاتها أربعين يوم؟

حاول أن يشرح لها: يا بنتي....

قاطعته هند مرة أخرى وهى تبكى بشدة: أنا مش بنتك أنا بنت الست اللى عاشت عمرها كله عشانى هى بس اللى حبتني، انت مين؟ انت فين من حياتي؟ أنا ما كنتش بأشوفك غير صدفة، أنا ما أعرفكش، أمى هى اللى كانت بتربطنا ببعض.

أتبعت وهى تجهش بالبكاء: وأهى راحت اللى كانت بتربطنا ببعض راحت

- تقصدى إيه؟

- أقصد إنك أنت اللى اخترت، أنا ظنيت إن ربنا عوضنى عنها بأب حنين ما كنتش أعرف قيمته، بس معلش سوء الظن هايتصلح.

أسرعت هند إلى حجرتها وهى تبكى وأغلقت بابها بعنف واستلقت على سريرها.

وانقطع الحديث بينهما أياما، كانت تتحاشى النظر إليه وهو كان ينظر إليها باستعطاف، ولكنها كانت تتجاهله. ازداد غيابه عن البيت مع تزايد إهمالها له.

وعند دخوله البيت ذات ليله استوقفته قائلة: أنا قدمت فى مدرسة عن طريق النت وقبلت وهاستلم الشغل بعد بكرة.

ابتسم فى سعادة: مبروك.

- علشان كده هاسافر بكرة.

اختفت ابتسامته وسألها: تسافرى فين؟

- المدرسة دى بره القاهرة خالص، فى محافظة تانية.

- وتسيبينى لوحدي؟

أجابته هند بسخرية: ما أنا قلت أسيبك براحتك مع العروسة الجديدة.

نظر إليها بألم، ولكنها غادرت سريعا إلى غرفتها وتجاهلت نظراته.

دخل إليها بينما كانت تعد حقيبتها ونظر إليها بحنان وقال: هتسافرى برده؟

- أيوه هاسافر وده باختيارك انت، انت اللى اخترت واحده تحل محل أعظم أم وأحسن زوجة وعليك تحمل نتيجة اختيارك.

- انتى بتعاقبينى ببعادك عني.

- ما تقلقش المسافات بينا مش بعيدة، بس المسافات والحواجز النفسية بينا أبعد مما تتخيل، وعلى فكرة أنا أخدت صور ماما كلها؛ لأنى متأكدة إنها ماتهمكش فى حاجة.

امتعـض وجهـه فى ألم: ليـه يابنتـي؟ ليـه بتسرقـى عمـرى الـلى فـات بذكرياتـه؟

- لأنه فات يابابا.

غادرت هند وتركته بائسا حزينا يضرب كفا بكف على ماضاع.

وصلـت هنـد إلى الشـقة الجديـدة التـى اسـتأجرتها بجـوار المدرسـة التـى تعينـت بهـا، وضعـت حقيبتهـا وجلسـت عـلى مقعـد مجـاور وفتحـت الحقيبـة، أخرجـت صـورة لوالدتهـا ونظـرت إليهـا وابتسـمت: شـايفة يـا ماما دى شـقتى الجديـدة وكـمان اشـتغلت فى مدرسـة هنـا قريبـة، أنـا عارفـة إنـك حاسـة بيـا وبتدعيـلي، حلـوة الشـقة الجديـدة؟ بـس مـش الشـقة بـس الـلى جديـدة، أنـا كـمان بقيـت إنسـانة جديـدة، هانـسى كل حاجـة فاتـت ماعـدا انتـى لأنـك عايشـه جوايـا.

اختـارت غرفـة لنومهـا ورتبـت أشـياءها واسـتعدت للنـوم، ولكننهـا لم يغمـض لهـا جفـن ظلـت تنظـر وتحملـق بـكل شىء حولهـا، إنهـا أول ليلـة تقضيهـا وحيـدة، جـدران الحجـرة كانـت تمثـل لهـا قيـودا وأسـوارا شـائكة تقـذف فى قلبهـا خوفـا ورعبـا مـن الوحـدة التـى لم تعتـد عليهـا، نهضـت وأحـضرت صـوره لوالدتهـا، نظـرت إليهـا بشـوق ودمعـت عيناهـا، احتضنـت الصـورة واسـترخت قليـلا وسرعـان ماراحـت فى نـوم عميـق.

اليـوم التـالى كان يومهـا الأول فى المدرسـة بشـعار لا حـب لا صداقـة لا ألم بعـد اليـوم.

الفصل الخامس

فى طريقهـا إلى المدرسـة شـعرت بالإنهـاك، رغـم أن المدرسـة ليسـت بعيـدة عـن مسـكنها الجديـد، ولكنهـا لم تسـتطع النـوم بهـدوء؛ فـلأول مـرة تقـضى ليلتهـا وحيـدة، لا أم لا أب لا حبيـب.

وعنـد مدخـل المدرسـة قابلـت امـرأة فى عقدهـا الرابـع تميـل بشرتهـا للسـمرة، ترتـدى ثيابـا رثـة، وحينـما لمحتهـا تلـك المـرأه توجهـت إليهـا وعلى وجههـا ابتسـامة رقيقـة، وبادرتهـا بلهجـة صعيديـة:

أهلا يا أبلة اتفضلي، عايزة مين فى المدرسة؟

- أنا قدمت هنا كمدرسة وده أول يوم ليا هنا.

رحبـت بهـا كثـيرا وقادتهـا إلى مكتـب المديـرة، وبعـد أن تسـلمت هنـد جدولهـا وخرجـت مـن مكتـب المديـرة وجـدت تلـك المـرأه تنتظرهـا بالخـارج بنفـس الابتسـامة.

- بصى يا أبلة....؟

- هند، اسمى هند.

- عاشـت الأسـامى يـا أبلـة، أنى اسـمى أم عـلاء يعنـى زى بوابـة كـده للمدرسـة وبـردك باعمـل شـاى وجهـوة ولـو عايـزة أى حاجـة ابعتيـلى أيتهـا حـد وأنى تحـت أمـرك.

- شكرا يا أم علاء بس ممكن تعرفينى فين فصل ٢/٢

- أيوه يا أبله تعالي.

توجهتا إلى الفصل وهناك وجدت مدرسا شابا يقف فى الفصل ومندمج بشدة فى الشرح.

نظرت إليه أم علاء باحترام ثم قالت موجهة حديثها لهند دون أن تحول نظرها عنه:

ده الأستاذ يوسف مدرس هنا بس محترم أوى والعيبة عمرها ماتخرج من خشمه، راجل زى حتة السكرة.

نظرت إليها هند بلا مبالاة، ولكنها تابعت:

بعد ما تخلصى حصتك يا أبلة هتلاجى أوضة المدرسين هناك فى آخر الطرجة، مش عايزة حاجة منى تاني؟

- لا شكرا.

غادرت أم علاء وظلت هند واقفة منتظرة خروج الأستاذ يوسف قرابة الربع ساعة، ولكن يبدو أنه غير منتبه لانتهاء الحصة ولا لوجودها.

توجهت إليه بانفعال وقالت:

لو سمحت ده ميعاد حصتى اللى بدأت بقالها ربع ساعة وحضرتك ولا واخد بالك ولا محترم الوقت.

نظر إليها باندهاش من أسلوبها وانفعالها، وعلى عكس توقعها أجاب بكل احترام وأدب مما أزاد من عصبيتها:

أنـا آسـف. المفـروض إن الحصـة الـلى بعـدى كانـت فاضيـة وكنـت باخدهـا بعـد حصتـي، بـس الإدارة مـا أخطرتنيـش إن حـد تـانى هياخـد الحصـة.

- ياريت بقى ماتبقاش تنسى إن الحصة بقت بتاعتي.

- أنا آسف مرة تانية.

جمـع كتبـه ومتعلقاتـه وغـادر الفصـل بهـدوء، رمقتـه هـى بغضـب حتـى اختفـى عـن نظرهـا.

بعـد انتهـاء حصتهـا توجهـت إلى حجـرة المدرسـين واختـارت مقعـدا بعيـدا عـن زملائهـا، كانـت تشـعر بنظراتهـم تتبعهـا منـذ دخولهـا حتـى جلسـت، ولكنهـا لم تعرهـم اهتمامـا.

نظـر إليهـا يوسـف وابتسـم لهـا محييـا إياهـا، ولكنهـا لم تبادلـه الابتسـام وشرعـت تقـرأ كتابـا كان بحوزتهـا.

بعـد دقائـق معـدودة توجهـت إليهـا أم عـلاء تحمـل كوبـا بـه شـاى ووضعتـه أمامهـا: اتفضـلى يـا أبلـه هنـد.

نظرت إليها هند بدهشة وقالت: إيه ده؟ أنا ماطلبتش حاجة.

- ده الأستاذ يوسف طلبه لحضرتك.

نظـرت إليـه هنـد وجدتـه يبتسـم لهـا نظـرت إليـه بـبرود ثـم التفتـت لأم عـلاء وقالـت بانفعـال: أنـا ماطلبتـش حاجـة وتـانى مـرة مـا تجيبيـش حاجـة أنـا مـا طلبتهـاش.

- حاضر يا أبلة.

انصرفـت أم عـلاء وتوجهـت إلى يوسـف ويبـدو أنهـا أخبرتـه بمـا قالتـه هنـد، تغـيرت ملامحـه قليـلا واختفـت ابتسـامته ولم ينظـر بعدهـا لهنـد.

فى نهاية اليوم الدراسى أثناء توجه هند لشقتها قطع عليها يوسف طريقها وهو يبتسم نفس ابتسامته وقال: أنا آسف لو اللى عملته النهاردة أزعجك، أنا ماكنتش أقصد أضايقك أنا طلبتلك الشاى كنوع من الاعتذار والترحيب.

تنهدت هند فى نفاد صبر وقالت: أنا ماقولتلكش إنى زعلانة علشان تعتذر، ولوسمحت أنا ماعنديش استعداد إنى أتعرف على حد، بعد إذنك.

انصرفت هند وتركته واقفا وحده دون أن تنظر إليه.

عادت لشقتها وأعدت غداء لنفسها، تناولت القليل منه، يبدو أنها تعانى فقدان الشهية؛ فبعد أن كان هناك أسرة وأم وأب -حتى وإن كان وجوده قليلا- إلا أن الحياة كانت أفضل بهم، كانوا يمدونها بالطاقة اللازمة لاستكمال الحياة وتخطى صعابها، أما الآن فعليها أن تكون المحفز لنفسها، والرفيق الوحيد لها هو نفسها.

فضلت أن تنام قليلا، ولكن شغلها التفكير فى أحداث اليوم، لماذا تعاملت بهذا الأسلوب القاسى مع أم علاء؟ إنها امرأة مسكينة لا حيلة لها وهند صبت غضبها كله عليها، غدا ستعتذر لها هند. ويوسف لم عاملته بتلك الطريقة الجافة؟ يبدو أنه لطيف ومهذب. استطردت هند مهذب أم أنه يحاول التقرب إليها؟ وفيم يهمها ذلك وقد قررت ألا تتعرف إلى أحد؟

وهل ستستطيع بالفعل أن تتلائم مع تلك الحياة الجديدة؟

استسلمت هند للنوم وتركت الإجابة ليثبتها الغد.

فى اليوم التالى توجهت هند إلى غرفة أم علاء المجاورة لبوابة المدرسة، ولكنها لم تجدها ووجدت ثلاثة أطفال فى مراحل عمرية

مختلفـه أصغرهـم لا يتعـدى ثلاثـة أعـوام، لم ينتبهـوا إلى وجودهـا، وحينـما همـت بالانـصراف وجـدت أم عـلاء خلفهـا وتبتسـم لهـا:

أهلا يا أبلة أى خدمة.

ابتسمت لها هند وقالت:

أنـا بـس كنـت جايـة أعتذرلـك عـن الـلى حصـل امبـارح، أنـا عارفـة إنى كنـت قليلـة الـذوق معـاكي.

ضربت أم علاء على صدرها وقالت:

العفو يا أبلة أنى تحت أمرك.

- ربنا يخليكى يا أم علاء. دول أولادك؟

- أه علاء ودواليا ومجدي.

- ربنا يخليهوملك، بس انتى ليه بتجيبيهم معاكى الشغل؟

- أجيبهم منين يا أبلة؟ إحنا عايشين فى الأوضة دي.

نظرت إليها هند فى دهشة وقالت:

معقولة؟!الأوضة الصغيرة دى أمال فين باباهم؟

- ابتسمت أم علاء فى أسى وقالت:

الله يرحمه هو لو كان عايش كان ده بجى حالنا.

- أنا آسفة، وآسفة مرة تانية عن اللى حصل امبارح. بعد إذنك.

انصرفـت هنـد وهـى تشـعر بـالأسى لحـال تلـك الأسرة الصغـيرة المسـكينة.

أوشـك اليـوم الـدراسى عـلى الانتهـاء ولم تـر يوسـف، شـعرت بالضيـق فكانـت تـود أن تعتـذر لـه عـما بـدر منهـا بالأمـس، وأن تنفـض عـن قلبهـا

عـذاب الضمـير وتأنيبـه، ولكـن يبـدو أنـه كتـب عليهـا أن يؤنبهـا ضميرهـا يومـا آخـر دون أن تعتذرلـه.

قضـت هنـد يومهـا كلـه تفكـر فى تصرفاتهـا السـخيفة تلـك تجـاه أشـخاص لم يتسـببوا لهـا بـأى أذي.

تـرى هـل مـا تعرضـت لـه مـن أزمـات غيرهـا بهـذه الدرجـة؟ أم أنهـا مجـرد مواقـف عابـرة لم تسـيطر فيهـا عـلى غضبهـا؟ لقـد قـررت بالفعـل ألا تتقـرب إلى أشـخاص جـدد، ولكـن ذلـك لا يعنـى أن تجـرح أحدهـم. تمنـت مـن اللـه أن تـرى يوسـف فى اليـوم التـالي؛ حتـى تتمكـن مـن الاعتـذار لـه.

فى اليـوم التـالى توجهـت إلى حجـرة المدرسـين واختـارت نفـس المقعـد البعيـد وانشـغلت بقـراءة كتـاب كعادتهـا حتـى تنـصرف عـن أى اختـلاط بمـن حولهـا. بعـد لحظـات انتبهـت إلى دخـول يوسـف، وجـدت نفسـها تبتسـم لـه رغـما عنهـا ونهضـت مـن مكانهـا بصـورة ملفتـة وتوجهـت إليـه، ثـم قالـت لـه بصـوت بـه بعـض الخجـل:

أنا آسفه عن اللى حصل مني.

رفع حاجبيه فى دهشة ولم يجبها.

تلاشت ابتسامتها ثم قالت:

واضح إنك مش قابل أسفي، أنا غلطانة إنى اعتذرت.

ضحك من تغير أسلوبها المفاجىء وحاول أن يستوقفها قائلا:

اهـدى بـس، هـو أنـا قلـت حاجـة؟ هـو انتـى دايمـا كـده؟ أنـا بـس اسـتغربت مـن التناقـض الرهيـب بـين أسـلوبك قبـل كـده وأسـلوبك دلوقتـي، وعـلى العمـوم مافيـش حاجـة علشـان تعتـذري.

ابتسمت له فى خجل وقالت:

واللـه أنـا مـش كـده بـس أعصـابى تعبانـة شـوية ومعلـش بقـى جـت فيـك.

- أنـا مقـدر طبعـا، انتـى فى مـكان جديـد ونـاس جديـدة عليـكى وطبيعـى أعصابـك تكـون مشـدودة.

- عـلى العمـوم أنـا متشـكرة أوى لتفهمـك. بعـد إذنـك أنـا عنـدى حصـة دلوقتـي.

انصرفـت هنـد دون أن تنتبـه إلى إحداهـن ترمقهـا بمزيـج مـن الغيـظ والغضـب.

الفصل السادس

فى ذلك اليوم شعرت هند بتحسن كبير فى نفسيتها، وهى ترى أن ذلك يرجع إلى تقبل اعتذارها من قبل يوسف وأم علاء، وفكرت لو أنها جعلت مساحة ولو صغيرة للتعامل مع مثل هؤلاء الأشخاص الطيبين، فلن تستطيع الصمود وحدها دائما وأن تكون سندا لنفسها مع كل عثرة من عثرات الدنيا، وأن تكون فحين تضيق الدنيا عليها الخناق وتتملك من عنقها وتحكم قبضتها عليه ستتراخى أعصابها، ولن يحررها من قبضة الدنيا إلا شخصا آخرا غير نفسها، تمنت من الله ألا تندم على هذا القرار، واستسلمت مرة أخرى للسعادة التى منحت إياها اليوم.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة وبعد الانتهاء من حصتها كانت الحصة التى تليها ليوسف، قابلها بابتسامته المعهودة وحياها وهم بدخول الفصل، ولكنها استوقفته قائلة: معلش يا أستاذ يوسف ممكن آخد من وقتك دقايق.

أجابها مازحا: طبعا، اتفضلى وخدى اليوم كله كمان.

- أنا كنت عايزة أقدم مساعدة لأم علاء بس خايفة ما تقبلش مساعدتى ومش عارفة بصراحة أقدملها إيه.

- جميل أوى دى لفتة طيبة منك، وعلى العموم موضوع أم علاء ده طويل أوي، بعد الحصة ممكن أشرحلك الموضوع كله.

- خلاص هاستنى حضرتك فى أوضة المدرسين.

بعد انتهاء حصته توجه لحجرة المدرسين وكانت هند فى انتظاره، جلس على مقعد مجاور لها وبادرها قائلا: أنا آسف إنى خليتك تستني.

ابتسمت له وقالت: لا أبدا أنا اللى آسفة إنى عطلتك عن حصتك.

- لأ خالص بالعكس أنا مبسوط جدا إنك مهتمة بموضوع زى ده. شوفى أم علاء دى كل اللى نعرفه عنها إنها من الصعيد وكانت متجوزة، ولما جوزها مات ضاق بيها الحال وجت على هنا علشان تشتغل، بس للأسف ماكانش معاها شهادات ولا أى أوراق تسمح بتعيينها فى أى وظيفة، بس أنا وكام مدرس ومدرسة هنا اتفقنا إننا نساعدها على قد مانقدر، فبنينا لها الأوضة الصغيرة دى من حسابنا الخاص وكل شهر بنجمع من بعض مبلغ وبنديهولها كمرتب مقابل خدمتها فى المدرسة؛ لأنها بصراحة كانت رافضة أى مساعدة بدون عمل.

ثم أتبع وهو يبتسم:

والحقيقه مبادرتك النهاردة دى تعتبر ترقية ليها وزيادة فى مرتبها، طبعا ده لو قدرتى تشاركينا.

أجابت بحماس: أه طبعا ويكون ليا الشرف لو تقبلونى معاكم.

- يبقى اتفقنا. كل شهر هتدفعى مبلغ حسب مقدرتك، بس بشرط المبلغ ممكن يزيد بس تحاولى إنه مايقلش.

- أنا فاهمة، والحقيقة أنا عايزة أبلغك إعجابى بتعاونكم الطيب ده. ابتسم لها واستأذن فى الانصراف.

استرخت هند فى مقعدها وسرحت فى شخصية يوسف، إنه لإنسان رائع بحق، أيعقل أن يوجد شخص تجتمع فيه كل هذه الأخلاقيات التى تعتبرها هى قد عفا عليها الزمن؟

شعرت بسعادة داخلية تجهل مصدرها، ولكنها سرعان ماعادت لوعيها وانتبهت أنها مازالت موجودة بالمدرسة، وفى تلك اللحظة كانت نفس الفتاة ترمقها بنفس نظرة الغيظ والغضب دون أن تنتبه هند لنظراتها.

وعندما عادت هند لشقتها كانت لاتزال تشعر بتلك السعادة الغامضة ترى ما سرها؟ هل من الممكن أن تكون كل هذه السعادة لمجرد أنها قدمت المساعدة لشخص محتاج؟ يستحيل إنها سعادة من نوع آخر، تلك السعادة التى تجذبك إلى عالم بعيد من اللاجاذبية حتى تشعر بأنك ترفرف وتحلق حتى تصل لعنان السماء.

فى الحقيقة كانت هند سعيدة بذلك الإحساس، حتى أنها تجاهلت قراراتها ببناء قلعة حصينة حولها تحول دون بناء أى علاقات جديدة من أى نوع، وكانت تنتظر يومها التالى حتى ترى يوسف مرة أخرى.

هذه المره كانت هند تشعر بسعادة كبيرة أثناء ذهابها للمدرسة وقلبها كان يرفرف لمجرد التفكير فى أنها سترى يوسف، وانتظرت انتهاء حصصها بفارغ الصبر؛ حتى يتسنى لها رؤيته. وبالفعل بعد أن انتهت من حصصها توجهت لغرفة المدرسين وجلست فى مقعدها المعتاد.

مر وقت ليس بطويل ولكن مر عليها مرور الدهرحتى رأت يوسف يدخل حجرة المدرسين ابتسم لها ثم توجه إليها وجلس فى مقعد مجاور وقال: انتى فينك النهاردة؟ دورت عليكى كتير.

- ليه؟

نسيت إمبارح حاجة مهمة.

نظرت إليه فى دهشة: حاجة إيه؟

- نسيت أكتبلك رقم تليفوني.

ثـم أخـذ هاتفهـا مـن أمامهـا عـلى المنضـدة، متجاهـلا نظراتهـا المتشـبعة بالدهشـة والمفاجـأة مـن جرأتـه، وسـجل رقمـه عـلى هاتفها ثـم أعـاده مكانـه بهـدوء.

بعـد أن انتهـى نظـر إليهـا وابتسـم: عـلى فكـره أنـا سـجلت نفـسى يوسـف مـش أسـتاذ يوسـف. طبعـا لـو احتجتـى أى حاجـة مـا تتأخرـش فى الاتصـال بيـا. دلوقتـى بقـى معلـش أسـتأذنك أنـا مـروح.

- مع السلامة.

انـصرف يوسـف وكانـت هنـد لازالـت مندهشـة مـن تصرفاتـه، كيـف اسـتطاع بـكل هـذه السـهولة والسرعـة أن يخـترق حواجزهـا دون أن تشـعر هـى بضجـر أو ضيـق؟ بـل عـلى العكـس لقـد أصبـح مصـدر سـعادة لهـا. ومـا سر تصرفاتـه تلـك معهـا؟ أهـى طبيعتـه؟ أم أن تلـك المعاملـة خاصـة بهـا؟

انتبهـت هنـد لمـا حولهـا حجـرة المدرسـين تقريبـا فارغـة إلا منهـا ومدرسـتين ويبـدو أنهـما عـلى وشـك الانـصراف. أخـذت هنـد متعلقاتهـا وقبـل أن تصـل للبـاب تفاجـأت بإحـدى هاتـين المدرسـتين تسـبقها إليـه وتعـترض طريقهـا وتنظـر إليهـا بغضـب.

الفصل السابع

«انصرفت هند دون أن تنتبه إلى إحداهن ترمقها بمزيج من الغيظ والغضب».. تساءلت هند فى دهشة: إيه ده فى إيه؟

أجابتها بنبرة حادة:

ده بقى اللى أنا عايزة أعرفه، عايزة أعرف فى إيه.

- مش فاهمة.

-انتى عايزة منه إيه بالظبط؟

- هو مين ده؟

أجابتها بنبرة أكثر حدة: هو فى غيره؟ يوسف.

فى تلك اللحظة كانت هند فى قمة دهشتها، نظرت إليهما المدرسة الأخرى فى خوف وقالت وهى تنظر حولها: وطى صوتك يا سلوى مش كده.

لم تعرها سلوى انتباها ووجهت كلامها لهند قائلة: إياكى أشوفك تانى مرة بتكلميه، ويا ريت تبطلى السهوكة دي.

حاولت هند أن تتماسك قليلا وردت عليها: انتى بأى حق بتكلمينى كده... ؟

وقبل أن تكمل كلامها قاطعتها سلوى قائلة: بحق إنى خطيبته.

عندها تملكت المفاجأة من هند وأمسكت عليها لسانها.

جذبت المدرسة الأخرى سلوى من ذراعها وهى تقول:

كفاية بقى ياسلوى أرجوكي، كفاية فضايح.

وانصرفتا تاركتين هند فى صدمتها.

وقفت هند فى ذهول تحاول استيعاب ماحدث، تحاملت على نفسها وحبست دموعها وانصرفت.

فى طريق عودتها لشقتها فقدت الشعور بأى شىء حولها لا وجود لناس ولا سيارات ولا لذلك السائق الذى كاد يدهسها بعد مرورها دون انتباه لإشارة المرور.

فتحت باب شقتها فى هدوء وفور أن أغلقته انطلقت دموعها بشهقة كادت تخرج معها روحها، دخلت حجرتها وارتمت على سريرها وأخذت تجهش بالبكاء.

إلى متى؟ إلى متى ستظل تجرح وتهان؟ إلى متى ستخدع؟ لم يحدث كل ذلك معها؟ حقا يوسف لم يصارحها ولم يعدها بشيء، لكنها كانت تشعر بأنه ملاذها، حتى وإن لم يكن هو يشعر بذلك تجاهها، أقله كان يجب أن يحترس فى تعامله معها حتى يجنبها ما حدث لها اليوم طالما هو على علم بغيرة خطيبته، ولكنه ليس وحده من أخطأ؛ فلقد أخطأت هى أولا حينما جعلت له فى قلبها مكانا، ولكنها ستصلح ذلك وحالا، أخرجت هاتفها بعنف وحذفت رقمه وعادت لبكائها مرة أخرى.

أمسكت صورة والدتها ونظرت إليها بعينين ملؤهما الحنين ودموعها تنساب كقطر الندي، ابتسمت فى أسى وقالت:

أنا عارفة إنك حاسة بيا من غير ما أحكي، وعارفة إن وصيتك ليا إنى ما أخليش حاجة تقهرني.

أتبعت وبكاؤها يزداد: بس أنا تعبت يا ماما تعبت أوى ومحتاجاكى جنبي، أنا لوحدى يا ماما، ياريتنى أقدر أجيلك. نفسى فى حضنك أوي.

وأخذت تجهش بالبكاء حتى غلبها النعاس وفى يدها صورة والدتها.

استيقظت هند فى الصباح بعينين منتفختين من بكاء ليلة الأمس ويبدو على وجهها الإرهاق.

توجهت إلى المدرسة بخطوات سريعة تنم عن عصبيتها، وهى عابسة الوجه.

وعند دخولها المدرسة لم تنتبه إلى أم علاء التى كانت تبتسم لها، توجهت إلى حجرة المدرسين واتجهت إلى مقعدها وألقت كتبها بعنف مما أثار انتباه من حولها، ولكنها لم تعرهم انتباها، وحينما دق الجرس توجهت بنفس الخطوات السريعة إلى فصلها، قابلت يوسف وهو يبتسم لها محييا، ولكنها تعمدت أن تتجاهله وألا تنظر إليه.

وقف ساكنا واختفت ابتسامته، وبعد لحظات انصرف والدهشة تتملكه من تصرفها.

كانت تتعامل بعنف مع التلاميذ أثناء الحصة. وبعد انتهاء الحصة انتبهت لوجود يوسف ينتظرها خارج الفصل. أسرع إليها فور أن رآها، أسرعت هى أكثر؛ حتى لا يلحق بها، لكنه استوقفها مناديا إياها: هند، استنى لو سمحتي.

وقفت هند وهى تجز على أسنانها: - ممكن أعرف إيه اللى مزعلك منى؟ أنا لما شفتك الصبح متضايقة افتكرتك تعبانة، بس واضح من تصرفك معايا إنى أنا سبب ضيقك ده.

انتظر ردها على كلامه ولكنها اكتفت بالجز على أسنانها فى غيظ، وهى تتحاشى النظر إليه، مما أثار حفيظته، وجعله ينفعل ولأول مرة: فى إيه بالظبط؟ مرة تعاملينى باللين والرقة ومرة تانية تبقى مش طايقانى. أظن إنه من أبسط حقوقى إنى أعرف أنا زعلتك فى إيه.

قالت فى سخرية: حقوقك؟! حقوق إيه؟ انت مين علشان يبقى ليك عندى حقوق؟ أظن الأحق بالحقوق دى خطيبتك.

- خطيبتي؟! خطيبتى مين؟

- الآنسه سلوى اللى بتغير على حضرتك من الهوا الطاير. روح اسألها هانتنى إزاي.

أطرق فى ذهول ولم يجبها. همت بالانصراف، ولكنه استوقفها وقد عاد إلى لين أسلوبه: هند استنى لو سمحتي. أنا عايز أقولك إن سلوى دي.....

قاطعته فى حدة: أنا مش عايزة أعرف حاجة، سيبنى فى حالى مالكش دعوة بيا.

مسحت دمعة انسابت على خدها، ثم أتبعت فى وهن: أرجوك أنا سيبت حياتى كلها؛ هروبا من المشاكل والإجهاد النفسى ومش مستعدة أرجعلهم تانى مهما كان السبب.

انصرفت هند وهى تجفف دموعها وتركته هو واقفا مكانه عابسا.

اتجهت هند إلى حجرة المدرسين وجلست على المقعد الذى اختارته لنفسها منذ أن التحقت بتلك المدرسة، وأخرجت كتابا وأخذت تفر صفحاته فى شرود.

لم يخرجها من شرودها إلا دخول يوسف وقد ارتسمت على وجهه -ولأول مرة - مزيج من علامات الغضب والعصبية والعنف، كان قابضا يديه فى عنف وكأنه سيسدد لتوه لكمة لأحدهم، كانت عروق وجهه ورقبته منتفخة، لدرجة أنها هابت منظره، ووقفت وهى تنظر له فى خوف.

الفصل الثامن

اتجه إلى المقعد الذى تجلس عليه سلوى معطية ظهرها للباب ودون أن تنتبه إليه ركل مقعدها بعنف جعلها تنتفض وكادت أن تقع لولا أن استندت إلى الطاولة أمامها.

ارتسمت على وجهها علامات الغضب، ولكن عندما التفتت ورأت يوسف تحول الغضب إلى رعب، كانت سلوى ترتعش أمامه:

يييوسسسف؟!

صرخ يوسف فى وجهها: عايزة إيه من يوسف؟ مش عايزة تسيبينى ليه فى حالي؟ ليه؟ مستكترين عليا أعيش سعيد مش كفاية سرقتوا أحلامى كلها قدام عنيا وكنتوا هتدمرولى حياتي، صعبان عليكم إنى لحقت نفسى منكم؟

أرادت سلوى أن تقول شيئا ما رغم تلعثمها وارتباكها، ولكن يوسف قاطعها بنفس نبرته الحادة: اسمعي، أقسم بالله ده آخر تحذير ليكى ولو حاولتى تتعرضى ليا تانى أو لأى حد من طرفى لاهندمك انتى والى وازينك.

انصرف يوسف وتركهم جميعا فى دهشتهم من تصرفه غير المألوف، وعلى رأسهم هند التى تملكتها الدهشة والخوف وكأن تهديداته كانت موجهه لها هى لا لسلوى.

جمعت هند متعلقاتها وانصرفت فى خطوات سريعة، رمقتها سلوى التى التف الجميع حولها منهم من يخفف عنها ومنهم من اقتاده فضوله إليها لمعرفة سبب ما حدث- بنظرة خبث تملؤها الرغبة فى الانتقام، ولكن يبدو أنها تذكرت تهديدات يوسف فحولت نظرها عن هند.

اتجهت هند إلى مديرة المدرسة واستأذنت منها فى الانصراف وإذنا بإجازة لمدة ثلاثة أيام.

استوقفتها أم علاء عند بوابة المدرسة: أبلة هند أبلة هند، علشان خاطرى ماتزعليش من أستاذ يوسف الله يكرمك، ده غلبان.

نظرت إليها هند فى عدم فهم

فأردفت أم علاء: اللى اسمها سلوى دى حاطاه فى دماغها من ساعة ما اتعينت فى المدرسة وهى بتسعى ورا أذيته.

وجدتها هند فرصة بالنسبة لها؛ لتعرف حقيقة علاقة يوسف بسلوى: هى سلوى تبقى خطيبته يا أم علاء؟

- لا، مش خطيبته، بس لما جت المدرسة كان باين عليهم يعرفوا بعض، هو كان بيحاول يبعد عنها، بس هى ماكنتش سايباه فى حاله ودايما عاملاله مشاكل.

شعرت هند ببعض الراحة، على الرغم من أنها لا زالت تجهل حقيقة علاقته بسلوى وما الذى يدفعها لأذيته، لكن يكفى أنها عرفت أنها ليست خطيبته. شكرت هند أم علاء واستأذنتها وانصرفت.

لم تكن هند تعلم ما الذى جعلها تطلب إجازة هل خافت من بطش يوسف بها؟ أم أنها خشيت مواجهته بعد ما سببته له؟

عـادت هنـد لشـقتها اتجهـت إلى حجرتهـا فى خطـوات متثاقلـة، اسـتلقت عـلى سريرهـا؛ كانـت تشـعر بإنهـاك - فـما حـدث اليـوم لم يكـن بهـين -وسرعـان مـا راحـت فى نـوم عميـق.

بعـد أن اسـتيقظت هنـد تملكهـا التفكـير فى يوسـف وأول لقائهـا بـه، ومـا هـى حقيقـة شـعورها تجاهـه؟ لمـاذا هـو دون غـيره سـمحت لـه بـأن يكـون عـلى تلـك المسـافة القريبـة منهـا؟ هـل هـى تحبـه؟ لأول مـره تواجـه نفسـها فى حقيقـة شـعورها تجـاه يوسـف.

تسـارعت دقـات قلبهـا، سرت بجسـدها رعشـة لمجـرد تصورهـا أنهـا تحبـه، فكيـف لهـا أن تحـب بعـد كل مـا تعرضـت لـه فى حياتهـا فقـط بسـبب الحـب؛ فلقـد أحبـت هبةبصـدق واعتبرتهـا أختـا لهـا ورغـم ذلـك تلقـت منهـا طعنـة الغـدر، وفـارس بعـد أن أعطاهـا الأمـل سـلبه منهـا بأبشـع وسـيلة -الخيانـة- وحـب والدتهـا لوالدهـا لم يمنعـه مـن نسـيانها بعـد أيـام قلائـل مـن موتهـا، وقدرتـه عـلى أن يتشـارك حيـاة جديـدة مـع امـرأة أخـرى.

تلـك الأفـكار هـى سـبب تعاسـتها وهـى مـا يعجزهـا عـن اسـتقبال الغـد بأمـل. لقـد أصبحـت تخـشى الأحـلام وتهـاب الحـب.

لم تخـل أيـام إجازتهـا مـن التفكـير فى يوسـف هـو معهـا فى كل لحظـة، فى كل نظـرة تـراه، فى كل همسـة تسـمع صوتـه، وفى كل نسـمة هـواء تجـد عطـره، وضعـت كفيهـا عـلى وجههـا وبكـت بـكاءا مـرا عـلى حالهـا وضعفهـا تجا هه.

كيـف سـتلقاه المـرة القادمـة؟ كيـف سـتخفى عنـه حبهـا؟ مؤكـد أنـه سـيراه فى نظراتهـا، فى ارتباكهـا، فى حمـرة وجههـا حـين تـراه.

يومـا بعـد يـوم كانـت حالتهـا تسـوء، حتـى انتهـت إجازتهـا وقـد بلغـت منتهـى الوهـن والضعـف والذبـول.

استيقظت هند ونهضت متثاقلة، وفى تكاسل ذهبت إلى المدرسة.

شـبح الحـب يواجههـا فى كل مـكان وابتسـامة يوسـف لا تفـارق مخيلتهـا، وصلـت المدرسـة وهنـاك وجـدت أكـبر تكتـل للشرطـة والأمـن قـد تـراه فى حياتهـا. تسـارعت دقـات قلبهـا فى خـوف وأسرعـت إلى أحـد الواقفـين كان يحوقـل ويـضرب كفـا بكـف، سـألته:

هو فيه إيه؟

- الست الغلبانة اللى شغالة عاملة فى المدرسة قتلوها.

دارت الدنيـا بهنـد ولم تشـعر بجسـدها الـذى هـوى عـلى الأرض وارتطـم بهـا فى قـوة.

الفصل التاسع

أسرع إليها بعض الواقفين وتشاركوا فى حملها وأجلسوها، أخرج أحدهم عطرا وحاول إفاقتها، فتحت عينيها فى وهن ونظرت إلى الواقفين حولها ثم قالت بصوت بالكاد يسمع: عايزة أروح.

أوقف أحدهم تاكسيا وساعدتها إحدى النساء على الركوب.

أسندت رأسها إلى الخلف وانسابت دموعها فى غزارة حاولت أن تمنع بكاءها، ولكن دموعها خذلتها وأخذت تتساقط بكثافة.

نظر إليها السائق فى المرآة وقال:فى حاجة يا أبلة؟ أى خدمة؟

مسحت هند دموعها وحاولت أن ترد إلا أن ذلك لم يزدها إلا بكاء وغرقت فى بحر من الذكريات الأليمة، تذكرت والدتها، تذكرت ضحكتها ولمسات يديها وحنانها وكيف حرمت منها، وها هم أطفال أم علاء سيواجهون الآن مستقبلا مجهولا، سيتجرعون الألم كما تجرعته هي.

استجمعت بعض قواها وأشارت للسائق بالوقوف.

لم تنتظر المصعد وصعدت السلم فى إجهاد، دلفت إلى شقتها وارتمت على سريرها، دفنت رأسها فى وسادتها وانفجرت بالبكاء.

إنها لا تستطيع أن تتخيل أن تلك المرأة المسكينة -التى لا حول لها ولا هدف لها إلا إيواء أطفالها واقتطاع جزءا لهم من السعادة

التى ينعم بها غيرهم؛ لتشعرهم ببعض الأمان- قد تؤذى أحدا لدرجة تدفعه لقتلها وحرمان أطفالها منها، حرمانهم مما تكرمت الدنيا وتنازلت به لهم من بين فقرهم وحاجتهم ومرضهم، تركت لهم يد رحمة تخفف عنهم بعض ما بهم واستكترها عليهم محتكرو السعادة فى هذه الدنيا الظالم أهلها.

كان ذلك هو وجهة نظرها بجهل منها بعدل الله ورحمته، فهو لن يغفل عن حمايتهم ورحمتهم، فكل منا له نصيب لن يأخذه غيره وكلنا فى النهاية متساوون، فكل منا له همه فى الدنيا، منا من كان همه الفقر ومنا من أهمه المرض ومنا من أهمه تأخر الزواج أو الإنجاب وعلى الجانب الآخر تتعدد أنعم الله التى لا تعد ولا تحصي، فلا يجب أن نجعل همومنا تغفلنا عن نعم الله، فالاهتمام دائما بما ينقصنا يضيع من بين أيدينا لذة ما نملكه.

وقضت هند يومها ما بين النوم والبكاء حتى دق جرس الباب قامت إليه فى تكاسل وعينين ناعستين، وعندما فتحته وجدت شخصا غريبا، فأغلقت الباب قليلا ونظرت من خلفه

فبادرها الغريب بسؤاله:

انتى هند قاسم؟

انتابها بعض الخوف وردت فى ارتباك:

مين حضرتك؟ وعايزها فى إيه؟

- هند قاسم مطلوبة فى النيابة بكره ولازم تكون موجوده قبل ١٢ الضهر.

زاد ارتباكها وخوفها وأصابت الرعشة أطرافها وقالت فى خفوت: ليه؟ أنا ماعملتش حاجة.

- علشان جريمة القتل اللى حصلت فى المدرسة وبيحققوا مع كل العاملين.

هزت هند رأسها فى خوف أى فهمت.

أغلقت بابها فى خوف فور أن انصرف، وارتمت إلى أقرب مقعد، شعرت بجفاف حلقها، حاولت ازدراد لعابها بصعوبة، وتوقف عقلها تماما وكأنما أصبح عاجزا عن التفكير. مدت يدها إلى كوب ماء أمامها وشربته جرعة واحدة؛ علّه يحد من توترها.

تمنت لو أن أحدا كان بجانبها يخفف عنها، لو كانت أمها موجودة لما وصل بها الحال لما هى فيه الآن.

وفجأة تذكرت يوسف، نهضت مسرعة إلى هاتفها وأخذت تبحث عن رقمه، ولكن بلا جدوي. تذكرت أنها مسحت رقمه بعد ما بدر من سلوى إزاءها.

ألقت الهاتف بعصبية وأخذت تسب غباءها وتهورها.

ظلت تقرض أظافرها ودموعها تنساب على خديها فى جزع، إلى أن رن هاتفها أسرعت إليه وأجابت: السلام عليكم.

أتاها صوت مألوف: وعليكم السلام. إزيك؟

- مين؟

- أنا يوسف.

أجابت فى لهفة كمن أوشك على الغرق ووجد المنقذ له أخيرا:

يوسف، الحمد لله. الحقنى يايوسف طالبينى فى النيابة وأنا مش عارفة أعمل إيه. أنا خايفة.

- اهـدي. معلـش كان المفـروض أطلبـك مـن بـدرى وأفهمـك إن ده عـادي، بـس أنـا كان بيتحقـق معايـا النهـاردة.

لم تجبه وانخرطت فى البكاء.

-اهـدى أرجـوكى صدقينـى مفيـش حاجـة، هـما لازم يحققـوا معانـا كلنـا وماتخافيـش هاكـون معـاكي. انتـى هتروحـى امتـى؟

أجابت بصعوبة من شدة بكائها:

بكره قبل الساعه١٢.

- هاكون عندك إن شاء الله من قبلها ادينى العنوان.

بعـد أن انتهـت مكالمتهـا مـع يوسـف وضعـت وجههـا بـين كفيهـا وأجهشـت بالبـكاء وأخـذت تدعـو اللـه وهـى ترتجـف فى خـوف:

يـا رب انـت العـالم بحـالى نجينـي. انـت عـارف إنى ماليـش حـد فى الدنيـا خليـك دايمـا معايـا.

وبالطبـع لم تسـتطع النـوم طـوال الليـل ولازمهـا الأرق. ظلـت تحـدق بسـقف غرفتهـا فى شرود دون أن تـدور برأسـها أى أفـكار، فقـط اليـأس يسـيطر عليهـا.

فى صبـاح اليـوم التـالى أتاهـا يوسـف مبكـرا وطـرق بـاب شـقتها، فتحـت لـه وعـلى وجههـا أمـارات الإجهـاد واليـأس.

لاحـظ يوسـف أنـه لا يوجـد أحـد بالمنـزل غيرهـا، وفيـما يبـدو تعيـش وحدهـا، شـغله السـبب، ولكنـه أعـاد تركيـزه سريعـا إليهـا.

ركبـت معـه سـيارته فى طريقهـما إلى النيابـة، ولم تلتفـت أبـدا حولهـا وظلـت تنظـر أمامهـا بنفـس شرود ليلـة الأمـس.

تنحنـح هـو؛ محـاولا إخراجهـا مـن شرودهـا، ولكنهـا لم تنتبـه إليـه. ارتبـك قليـلا عـلى غـير عادتـه ثـم قـال:

هنـد أنـا عايـز أقولـك عـلى حاجـه حصلـت فى التحقيـق وبصراحـة مـش عـارف إذا كان صـح إنى أقولـك علشـان تعـرفي، ولا أنـا كـده باوتـرك.

عندها التفتت هند إليه فى دهشة وفضول.

الفصل العاشر

تعلقت عيناها به تنتظر ما سيخبرها به. تردد قليلا قبل أن يقول:

أثناء التحقيق مع سلوى وجهت ليا أنا وانتى اتهام مباشر بأننا ممكن نكون قتلنا أم علاء.

اتسعت عيناها فى دهشة، أطرقت قليلا ثم قالت فى غضب وخوف:

قتلناها؟! أنا أقتل؟ ليه؟

- طبعا هى قالت كده فى محاولة فاشلة منها للانتقام مننا واستغلت علاقتنا القوية بأم علاء، بس ماتقلقيش هى ماعندهاش أى أدلة على اتهامها، وهيكون اتهام كيدى وساعتها هاقاضيها.

- بس أنا ماليش دعوة بكل ده، أيا كان اللى بينكم ماليش دعوة بيه.

- أنا آسف أنا عارف إنى سبب مشاكل ليكى من وقت مااتعينتى بالمدرسة، بس....

تلعثم قليلا وتندى جبينه عرقا واحمرت وجنتاه وهو يتبع:

أنا مش عارف اشمعنى انتي؟ أنا... أنا أول مرة أعامل حد كده ويكون قريب منى للدرجادي. أنا آسف مرة تانية.

كانت كلماته تلك كفيلة بأن تجعل وجنتيها تشتعلان حمرة وقلبها يقفز من مكانه، ورغم أنها تجنبت النظر إليه بعد كلماته

تلك؛ خجلا منه، إلا أنها لاحظت بطرف عينها إمساكه بالمقود بعنف؛ محاولا تبديد توتره.

التزما بعدها الصمت حتى وصلا النيابة، وهناك حين سمعت اسمها ينادى للتحقيق، تعلقت عيناها به فى خوف، فابتسم لها مطمئنا.

دلفت هى إلى حجرة التحقيق وجلس هو ينتظرها.

انتهت هند من قص حكايتها على يوسف كانت تنظر من نافذة السيارة ودموعها تنساب على خديها، لم تنتبه إلا الآن إلى أن السيارة واقفة أمام منزلها.

أتبعت وهى لا زالت ملتفتة عنه محاولة إخفاء بكاءها عنه:

هى دى حكايتى بكل بساطة.

يبدو أنها فشلت فى إخفاء نبرة البكاء فى صوتها.

كان ينظر إليها بحزن والدموع تترقرق فى عينيه، تمنى لوأنه استطاع أن يربت على كتفها، لو أنه استطاع أن يحضنها ويمسح على وجهها بحنان، لو أنه استطاع أن يقسم لها أنه يشعر بكل ألم تألمته، تمنى لو أنها استطاعت سماع ضربات قلبه المتسارعة تبكى حالها وتدعو لها الله أن يخفف عنها.

حاولت هى تغيير الموضوع، فمسحت دموعها والتفتت إليه:

هو إحنا واقفين هنا من زمان؟

- يعني، بقالنا نص ساعة تقريبا.

- يااه، أنا لازم أنزل، أكيد الناس خدت بالها.

بعد أن نزلت وأغلقت باب السيارة، انحنت ونظرت له من نافذة السيارة:

صحيح انت جبت رقمى منين؟

ابتسم وأجابها:

يـوم ماسـجلت رقمـى عـلى تليفونـك رنيـت عليـا وسـجلت رقمـك، أرجـو إن ده مايكونـش ضايقـك.

ابتسمت وهزت رأسها نفيا، أشارت له بيدها مودعة وانصرفت.

تابعها بعينين ملؤهما الحب حتى دلفت إلى عمارتها واختفت داخلها.

جلسـت هنـد عـلى سريرهـا وأسـندت رأسـها إلى الـوراء، سـجلت رقـم يوسـف مـره أخـرى، وبعدهـا أخـذت تفكـر فيـما قالـه لهـا اليـوم. «أنـا مـش عـارف اشـمعنى انتـي؟ أنـا... أنـا أول مـره أعامـل حـد كـده ويكـون قريـب منـى للدرجـادى «

تـرى هـل يقصـد أنهـا قريبـة منـه كحبيبـة؟ أم أنـه مجـرد تعبـير اسـتخدمه ليعـبر عـن اعتـزازه بهـا كصديقـة.

انتهـى تفكيرهـا إلى أن نامـت عـلى وضعهـا وهـى جالسـة، ولم تسـتقيظ إلى عـلى صـوت هاتفهـا يعلـن عـن ورود مكالمـة.

اعتدلـت فى جلسـتها وهـى تشـعر ببعـض الألم؛ نتيجـة وضعيـة نومهـا الخاطئـة، مـدت يدهـا إلى الهاتـف فى تكاسـل وأجابـت دون أن تنتبـه لاسـم المتصـل:

السلام عليكم.

- وعليكم السلام. إيه انتى نايمة من امبارح؟

استطاعت تمييز صوت يوسف

فأجابـت بنفـس تكاسـلها وهـى تغلـق إحـدى عينيهـا والأخـرى نصـف مفتوحة:

ياااه تصدق باين كده، أصل امبارح كان يوم صعب انت عارف.

-هند أنا لازم أقابلك.

- يوسف انت عارف إنه ما ينفعش أخرج معاك أصلا، وخروجنا إمبارح ده كان ظرف.

- هند أرجوكي. طيب انتى عملتى إيه فى التحقيق إمبارح؟

- غريبة يعنى إنك لسه بتسأل دلوقتي، انت ماسألتنيش إمبارح خالص.

- لأنى كنت عايز أعصابك تستريح شوية وكنت عايز أغيرلك مود التوتر اللى كنتى فيه، غير إنى كنت مطمن.

لمحت هند الجدية فى أسلوبه، فسألته: يوسف انت عايز إيه بالظبط؟

- هند القاتل سلم نفسه.

الفصل الحادى عشر

فتحت هند فاهها بدهشة وتلعثمت قليلا قبل أن تقول:

أقابلك فين؟

- نتقابل كمان ساعة فى نفس المطعم اللى كنا فيه إمبارح.

أنهت هند المكالمة دون أن تودعه أو تلقى عليه السلام؛ من شدة المفاجأة.

بعد أن أفاقت من دهشتها نهضت من السريرفى سرعه كبيرة وبدلت ملابسها بنفس السرعة واستقلت تاكسيا إلى المطعم ومن حين لآخركانت تستحث السائق على زيادة السرعة؛ فالفضول يكاد يقتلها، تتمنى أن تطوى الطريق طيا إلى يوسف؛ حتى تعلم من القاتل. تعجبت من نفسها لم لم تسأله فى الهاتف؟ ألهذه الدرجة لجمت الدهشة لسانها؟ أيعقل أن يسلم القاتل نفسه بهذه السهولة؟!و يا ترى من هو؟

وصلت هند قبل الموعد الذى حدده يوسف وكانت تشعر بأن لحظات الانتظار تمر مر السنين أو تكاد لا تمر، أخرجت هاتفها؛ لتهاتف يوسف وتتعجل مجيئه، ولكنها رأت شبحه قادما من بعيد فأشارت له أن يسرع.

جلس يوسف على المقعد المواجه لها ونظراتها المتعلقة به تستحثه على الكلام.

ابتسم لها فى خجل وقال: أنا آسف على الطريقة اللى نزلتك بيها دي، أكيد وترتك.

- وترتنى بس أنا مابقاش فيا أعصاب وأرجوك بقى اتكلم مين اللى قتلها؟

أطرق يوسف فى أسى ثم رفع رأسه وقال: عم أولادها.

اتسعت عينا هند فى دهشة وقالت فى انفعال: عم أولادها؟! طب ليه؟ ليه يعمل كده ويخلى أولاد أخوه أيتام الأم والأب؟

- أنا قريت الخبر النهاردة فى الجرايد، وبعدها الكل بقى يتكلم فى التفاصيل وأصل الحكاية. فاكرة الكلام اللى قولتهولك عنها؟

- أه فاكره لما قولتلى إنها ماكنش معاها أوراق تثبت شخصيتها وكانت طالبة وظيفة.

- جوزها لما مات كان كل اهتمام الأهل بالأولاد مين هيصرف عليهم ومين هيأكلهم من بعده وساعتها لجأوا للعادات والتقاليد، الزوج مات وأخوه موجود يبقى يتجوز أرملة أخوه؛ علشان ماتتجوزش حد تانى يبهدل الأولاد.

- طب وهي؟

-ماحدش كان بيفكر فيها ولا باللى هى حاسة بيه، زوجة لسه جوزها ميت وقلبها محروق عليه وعايزين يجوزوها واحد تانى علشان يصرف عليها وعلى أولادها. طبعا هى رفضت واتمسكت بذكرى جوزها والوفاء ليه وقررت تهرب وتعيش بعيد عنهم تشتغل وتكافح وتصرف

عـلى أولادهـا، بـس أخـو جوزهـا اعتـبر إن ده عيـب فى حقـه وقلـة أخـلاق منهـا وقـرر ينتقـم.

- فقتلها! بكل سهولة قتلها.

انسابت دموع هند على خديها تأثرا، ولكنها أردفت بانفعال:

يعنـى يـا تنـسى جوزهـا وحياتهـا معـاه وحبهـا ليـه يـا تمـوت، وهـو بـدون أى احـترام لذكـرى أخـوه يتجـوز أرملتـه مقابـل إنـه يـصرف عـلى أولاد أخـوه الـلى هـما أصـلا ملزومـين منـه، بـس إزاي؟ إزاى هيـصرف عليهـم بـدون مقابـل؟ والمقابـل إنـه يتجوزهـا وكـمان بـدون إرادتهـا، ده منتهـى الانحطـاط.

- اهدي.

لم تعر هند انتباها لكلماته فى محاولة منه لتهدئتها وتابعت بنبرة ألم:

كل ده بسـبب الحـب، لـو مـا كنتـش حبـت جوزهـا كانـت اتجـوزت بعـد موتـه بـكل سـهولة وكان زمانهـا عايشـة دلوقتـى وسـط ولادهـا، وأنـا أنـا لـو ماكنتـش حبيـت هبـة وأمنتلهـا ماكنتـش خانتنـى وفـارس...

شـعر يوسـف بالضيـق فـور سـماعه اسـم فـارس ولكنـه حـاول أن يتملـك غضبـه ويسـيطر عـلى الغـيرة التـى كانـت تشـتعل بداخلـه ولكـن سـيطر عليـه غضبـه، فقاطـع هنـد بانفعـال: انتـى فاكـرة إن الحـب كان سـبب كل ده؟!

نظـرت إليـه هنـد تسـتوضح جملتـه، فـأردف موضحـا: بالعكـس، نقص الحـب هـو السـبب؛ لـو كان عـم أولادهـا حـب أخـوه بجـد كان اعتنـى بـأولاده وحفـظ زوجتـه واحـترم ذكـراه مـن غـير مـا يتجوزهـا، لـو كانـت هبةهـى الـلى حبتـك بجـد مـع القليـل مـن الحـذر منـك تجاهها مـا كنتـش

خانتـك، ولـو كان الـلى اسـمه فـارس ده حبـك بجـد ماكنـش ممكـن لأى واحـده فى الدنيـا تحـول حبـه ليهـا، وبابـاكي...

هنا قاطعته هند:

لو كان حب ماما بجد ما كنش قدر ينساها.

- قصدك لو كنتى انتى بتحبيه كنت سمعتيه.

تفاجأت هند بكلماته، فرفعت حاجبيها فى دهشة:

تقصد إيه؟

- اسـمحيلى انتـى كنتـى طـول الوقـت أنانيـة ودايمـا بتـدورى عـلى راحتـك وسـعادتك وبـس، كنتـى مرتبطـة بمامتـك؛ لأنهـا كانـت بتوفرلـك راحتـك وبعـد وفاتهـا ارتبطتـى بباباكي- الـلى ماكنتيـش بتكلفـى نفسـك أى مجهـود علشـان تقـربى منـه فى حيـاة مامتك-علشـان بـس بقـى هـو ملجـأك الوحيـد بعـد مامتـك.

ردت عليه هند فى ألم ودموعها تتساقط فى غزارة:

بقـى هـى دى نظرتـك ليـا؟ هـو ده رأيـك فيـا؟ كنـت طـول الوقـت ده بتبينـلى احترامـك وتقديـرك وانـت مـن جـواك بتحتقـرنى بالكـم ده؟

حاول يوسف الدفاع عن نفسه وتوضيح قصده:

لأ، أنـا ماقصدتـش كـده خالـص أنـا كل الـلى قولتـه ده لأنى شـايف إن الـلى انتـى فيـه باختيـارك انتـي، يعنـى لمـا بابـاكى طلـب منـك إنـه يتكلـم معـاكى فى موضـوع جـوازه مـا اديتيلـوش فرصـة، فيهـا إيـه لـو كنتـى سـمعتيه؟

ردت فى انفعـال: كان هيقـول إيـه؟ إيـه الـكلام الـلى ممكـن يتقـال بعـد كل الـلى قالـه؟

- طالما طلب يتكلم يبقى كان عنده كلام. تلات دقايق تسمعية فيهم كان ممكن تغير حياتك كلها. إزاى قدرتى كل الفترة دى تبعدى عنه؟ حتى لوغلط، هان عليكي؟ ما افتكرتيش ليه أى ذكرى كويسة، مرة ابتسملك، طبطب عليكي، أخدك فى حضنه. صدقينى ده الشخص الوحيد اللى تضمنى حبه الصادق.

حاولت هند أن تزدرد لعابها، ولكنها شعرت بغصة فى حلقها تكاد تخنقها .

تنهد يوسف فى أسى ثم أتبع: أصلك ماجربتيش إنك تفقدى أهلك غصب عنك مش باختيارك.

كانت هند منهارة؛ لعلمها بأن كلامه كله صواب، لقد مس كلامه قلبها وأشعرها بانحطاط تصرفها وسوء نيتها وحبها لنفسها الذى لم يخلف لها إلا العذاب.

بيدين مرتعشتين أخذت هند حقيبتها وهمت بالانصراف، فاستوقفها يوسف: هند صدقينى كل اللى قولته ده من خوفى عليكى والحسرة اللى حاسس بيها على حالك.

حاولت أن تبتسم له من بين دموعها وهمت بالانصراف مرة أخرى، ولكنه استوقفها ثانية: هند عايز أقولك على حاجة كمان، أنا مش هاقدر أأذى سلوى بأى شكل، لو أذيتها هابقى بأذى نفسى أنا كمان، لأن....

عندها تسمرت هند مكانها من هول وقع كلماته عليها التى لم تتخيل أن تسمعها منه يوما وقالت فى تحسر: يعنى سلوى دلوقتى بقت مهمة بالنسبالك بعد كل أذيتها لينا وبعد اتهامها لينا بالقتل،

دلوقتى بس فهمت كل حاجة، واضح إنى كنت عزول بين حبيبين فى فترة جفا وعتاب، كفاية مش عايزة أسمع منك حاجة تاني.

انصرفت هند وظل هو واقفا مكانه متحسرا؛ لأنه يعلم أن ما بينهما أصبح الآن مجرد حلم جميل سيظل قابعا فى وجدانه فقط.

همس فى أسى وهو يراها ترحل بعيدا: لو كنتى سمعتينى أنا كمان التلات دقايق دول.

الفصل الثانى عشر

كانت هند تكاد لاترى شيئا من بين دموعها، وقفت خارج المطعم وأخرجت منديلا مسحت دموعها المتساقطة بغزارة، وأشارت لتاكسى بالوقوف، استقلت التاكسى إلى بيتها، كانت تحاول أن تمنع نفسها من البكاء على الأقل حتى تصل إلى منزلها، ولكن كانت شهقاتها تخرج رغما عنها من حين لآخر.

عند نزولها من التاكسى شعرت بقدميها متراخيتين لا تقويان على حملها. أشفقت على نفسها وعلى سوء حالها ومسحت عبرة خذلتها وسالت على خدها.

دلفت إلى شقتها، أغلقت بابها وأسندت ظهرها إليه وأطلقت العنان لدموعها وشرعت تبكى بانهيار.

كلمات يوسف كانت مؤلمة فعلا، لكنها صائبة. استطاع أن يواجهها بنفسها، ولكن بأسلوب قاس. ربما أى أسلوب آخر لما كان سيقنعها بأخطائها كهذا الأسلوب.

توجهت إلى غرفتها بخطوات تنم عن ضعفها، وأخرجت صندوقا صغيرا تحتفظ فيه بصورها وصور والدتها التى أخذتهم من والدها عقابا له.

جلست على السرير وأخذت تنظر للصور بألم، فتلك صورة لوالدها يحملها ويبتسم ويطوق والدتها بذراعه، وصورة أخرى لوالدتها تلاعبها، وتلك صورة أخرى لوالدها يؤرجحها، وأخرى يحملها على ظهره وهو يبتسم. ارتسمت ابتسامة على وجهها لابتسامة أبيها فى الصورة ولكن ابتسامتها كانت تحمل الألم.

الآن تواجه نفسها بكل ماتهربت من مواجهته فيما سبق، كيف استطاعت أن تمحى لوالدها كل ماقدمه لها؟ حتى وإن لم يقدم لها شيئا يكفى أنه والدها، يكفى أنه أصدق حب كما قال يوسف.

كانت تبكى بحسرة على كل لحظة عاشتها بدونه.

كيف تحملت بعده وغيابه؟ ألم تتذكر له أى عمل طيب يشفع له؟ ولكن عن أى عمل سيرجو شفاعتها، إنها هى من يجب أن ترجو شفاعته.

غلبها النعاس من كثرة البكاء فاستلقت على سريرها وبجوارها الصور.

وعلى الجانب الآخر، فى بيت والد هند

والدها طريح الفراش من أثر المرض، أصابه الضعف والهزال، وبجواره زوجته تنظر له فى ألم لحاله

- وبعدين ياقاسم كده صحتك مش هتتحسن.

- وهاعمل إيه بالصحة؟

ابتسمت له فى دلال:

كده برده، يعنى أنا مش مهمة بالنسبالك علشان توفر صحتك علشان خاطري.

بادلها الابتسام وقال:

انتى عارفة غلاوتك عندي، بس كل ما أفتكر إنى ضيعت هند قلبى بيتقطع وباتمنى الموت.

فزعت وضمت يده بين كفيها وقالت:

بعد الشر عليك أرجوك ماتقولش كده تاني؛ انت بتقتلنى بكلامك ده.

- يعنى أعمل إيه؟

- صدقنى لازم نكلم هند ونقولها كل حاجة؛ ماهى لازم تعرف.

قال فى انفعال:

لأ لأ هند مش لازم تعرف حاجة، بعد ماخبينا عليها العمر ده كله أقولها مستحيل.

نظرت هى إلى صورة والدة هند الموضوعة بجوار السرير وسقطت العبرات من عينيها وقالت فى ألم:

الله يرحمك يازينب، لو كانت عايشة كانت هى اللى قالتلك إنك لازم تقول لهند.

أغمض عينيه فى حيرة:

مش عارف يا هند مش عارف إذا كنت هاقدر أقول لهند بنتى حاجه ولا لأ.

كانت هند لازالت نائمة، وأثناء نومها حلمت بوالدتها تمد يدها إليها وتبتسم لها:

يالا اتأخرنا أوي.

- حاضر يا ماما.

يبدو أن هند قالتها بصوتها وليس فى حلمها، استيقظت مفزوعة؛ لسماعها صوتها وجلست تسترجع الحلم ودقات قلبها تتسارع وجسدها يرتعش فى خوف.

الفصل الثالث عشر

ذلك الحلم أعاد إليها ذكريات عديدة كانت تحاول أن تتناساها، صوت أمها صباحا حينما كانت توقظها، حضنها، حنانها، ابتسامتها، قبلتها التى كانت تطبعها على وجنتها كل صباح.

سالت الدموع من عينيها، وشعرت بالحنين الشديد لوالدتها. خطرت ببالها فكرة، ولم تنتظر حتى أن ترتب لها، بل نهضت لتنفيذها فى الحال، أحضرت ورقة وسجلت بها شيئا ما وطوتها ووضعتها بحقيبة يدها.

صلت ركعتين لله وأتبعتهما بتلاوة القرآن ووهبت الثواب لوالدتها ودعت لها، ثم عادت إلى الفراش، وهى أكثر ارتياحا.

فى ذلك الحين كان يوسف يتقلب فى فراشه فى ألم. يشعر بالندم أنه لم يصارح هند من البداية كما صارحته هي، فلو أنه أخبرها بكل شئ لما وصل الحال بينهما لما هوعليه الآن.

كان على وشك أن يتصل بها ويخبرها بكل شئ، ولكنه تراجع ووجد أنه من الأنسب أن يقابلها ويخبرها بكل شئ وجها لوجه؛ من المؤكد أن هذا سيكون أفضل. استسلم للنوم بعد أن عقد عزمه على أن يذهب إليها فى الغد ويخبرها بكل شئ، نعم كل شئ.

استيقظت هند فى الصباح الباكر، بدلت ملابسها، نظرت إلى حقيبة يدها فى تردد، ثم التقطتها بسرعة وانصرفت فى خطوات سريعة ثابته؛ لتبعد عن نفسها شتات التفكير واهتزاز القرار.

وقفت هند أمام المدرسة ودقات قلبها تتسارع، تقدمت بضع خطوات، استوقفتها حجرة أم علاء التى كانت تجمعها بأولادها، تذكرت يوم رأت أولادها يلعبون بداخلها لا يؤرقهم هم الفقر أو هم اليتم، فتلك الهموم تلقتها أمهم عنهم، وهاهم اليوم سيواجهون الفقر واليتم فى أبشع صوره، لم تستطع أن تمنع دموعها.

توجهت إلى مكتب المديرة، وجهت إليها التحية، وجلست فى المقعد المواجه لمكتبها.

المديرة:

خير يا أستاذة هند؟

- خير إن شاء الله.

أخرجت هند الورقة التى وضعتها بالأمس بحقيبتها، وقدمتها لمديرتها.

توجه يوسف بسيارته إلى شقة هند، وطوال الطريق يدعو الله أن يحلل عقدة لسانه؛ لتصل كلماته إلى قلبها.

وصل أخيرا وصعد السلم جريا وأخذ يطرق بابها بيديه المرتعشتين، ولكن بلا رد من داخل الشقة. وقف للحظات فى حيرة من أمره، ثم انصرف متوجها إلى المدرسة.

خرجت هند من مكتب المديرة وشعورها بالارتياح يزداد، أينعم تشعر ببعض الألم داخلها، ولكنها تعلم أن ذلك أفضل.

استقلت هند سيارة أجر عائدة إلى شقتها، وتجنبت النظر إلى المدرسة؛ حتى لا يزداد ألمها.

وصلت هند شقتها وشرعت تكمل ماقررت عمله بالأمس.

وصل يوسف إلى المدرسة وفى خطوات سريعة أشبه بالجرى دلف إلى غرفة موظف الحضور والانصراف.

- هى آنسة هند جت النهارده؟

- هى ماسجلتش حضور بس شفتها خارجة من مكتب المديرة.

توجه يوسف إلى مكتب المديره وهو يلهث، ودلف إلى داخله.

- بعد إذن سيادتك ممكن سؤال؟

- اتفضل يا أستاذ يوسف.

- هى الآنسة هند كانت هنا من شوية؟

نظرت إليه المديرة نظرة تساؤل قبل أن تجيبه:

أه بس دى مشيت بقالها ييجى ربع ساعة.

- طيب هى فين دلوقتي؟

- لأ الحقيقة ما أعرفش، الآنسة هند مابقتش معانا دلوقتي، الآنسة هند قدمت استقالتها.

اتسعت عينا يوسف فى ذهول وفتح فاهه من شدة المفاجأة.

(أخرجت هند الورقة التى وضعتها بالأمس بحقيبتها، وقدمتها لمديرتها.

- إيه ده يا أستاذة هند! استقالتك؟!

أطرقت هند قليلا قبل أن ترد:

أرجو إن حضرتك تقبليها.

- ليه كده هو انتى لحقتى تشتغلى معانا لما هتقدمى استقالتك!

- معلش بس أنا بجد صعب إنى أكمل هنا.

- وهو انتى ممكن تلاقى مكان أحسن من هنا؟

- لا المكان ده ولا غيره، أنا خلاص قررت لنفسى حاجة تانية.

- اسمعى يا هند لو كان موضوع الحادثة اللى حصلت تاعب أعصابك أنا ممكن أمضيلك أجازة تريحى أعصابك. انتى مدرسة كويسة واحنا صعب نستغنى عنك.

- طبعا الحادثة مأثرة فيا جدا، بس بعيدا عن الحادثة حاجات كتير تانية بقى صعب أتعايش معاها بعد النهارده، وأنا شايفة إنى كده هاكون أحسن.

ابتسمت لها المديرة فى رقة وقالت:

خلاص أنا مش هاضغط عليكي، وطبعا يهمنى مصلحتك. على العموم أنا هأقبل استقالتك، بس فى أى وقت عايزة ترجعى المدرسة مكانك هيكون موجود.

- متشكرة أوي.

- أتمنالك التوفيق.

خرج يوسف من مكتب المديرة وهو يشعر بالدنيا تدور به. يستحيل أن يفقد هند بهذه البساطة.

لم يكن يعلم وجهته، لا يعلم ماعليه فعله.

أخرج هاتفه واتصل بها، ولكنه لم يتلق ردا، حاول الاتصال بها مرة أخرى فأجابته بصوت ضعيف: السلام عليكم.

رد بانفعال: هند انتى فين؟ أنا قلبت الدنيا عليكي.

- حضرتك عايز إيه يا أستاذ يوسف؟

- ممكن أعرف انتى قدمتى استقالتك ليه؟

- أرجـوك ماتشـغلش نفسـك بيـا مـن النهـارده، حـاول تنسـانى ولا كأنـك قابلتنـي.

عـاد أسـلوبه إلى اللـين وكاد أن يبـكى وهـو يتوسـل إليهـا: هنـد أرجـوكى أنـا لازم أقابلك.

سكتت هند للحظات ثم ردت: ممكن أعرف طيب سبب المقابلة.

- رد بلهفة كمن عادت إليه حياته ووجد أملا فى مقابلتها:

أنا هاجيلك دلوقتى وهافهمك كل حاجة.

أنهـت هنـد المكالمـة وهـى تشـعر بالحـيرة؛ لا تعلـم إن كانـت موافقتها عـلى مقابلتـه قـرارا سـليما أم أنـه قـد يؤثـر عليهـا سـلبا، عـلى كل حـال هـى فى انتظـاره، دقائق وسـيتضح كل شـئ.

الفصل الرابع عشر

جلست هند فى انتظار يوسف وفكرها منشغل بسبب مجيئه ودارت برأسها أفكار عديدة حول السبب وعما إن كانت محقة فى مقابلته أم لا.

انتفضت هند حين سمعت طرقه على الباب، نهضت فى تردد وفتحت له الباب.

كانت نظراته متعلقة بها تحمل معانى الحب والشوق والحنين، وكانت هى أيضا تبادله نفس الشعور والنظرات.

وقعت عيناه على داخل الشقة فبدا الفزع فى عينيه:

إيه ده؟

- زى ما أنت شايف.

نظرت هبةإلى فارس باستعطاف:

أرجوك يا فارس ماتسيبنيش.

- قولتلك عايز شبكتي، وياريت بسرعة قبل ما أرتكب جريمة فى البيت ده.

نظرت إليه والدموع فى عينيها: وحبك ليا؟

- حب إيه يا ماما؟ انتى فاكرانى هناسب مدمن؟

- كده يا فارس، بتعايرنى دلوقتي.

- انتى هتعمليهم عليا؟ طب مدمن وعديناها، إنما يسحب منى فلوسى أول بأول ويشم بيها. انتو فاكرينى إيه؟

- فلوسك أنا هاجيبهالك بس ما تسيبنيش.

ابتسم بسخرية: يعنى فكرك سيبت بنت الناس المحترمة اللى مافيش عيب يعيبها، وهاجى عندك انتى ومش هاقدر أستغنى عنك؟

انسابت الدموع على خديها وبدا على ملامحها الغضب، ولكنه أتبع:

انتى خلاص أبوكى بقى رد سجون. ابقى قابلينى لو طلع براءة من قضية التعاطي. وبرده شبكتى وفلوسى هيجونى لحد عندي.

انصرف فارس وتركها جامدة مكانها، وقف عند الباب وطرقع لها بأصابعه حتى يلفت انتباهها: هاديكى مهله ٢٤ساعه فلوسى وشبكتى يكونوا عندى أو تحصلى بقى الوالد المحترم.

توقفت دموعها ورمقته بغضب وغيظ.

حاولت هند أن تتجنب النظر إلى يوسف، ونظراته هو متعلقة بها: أفهم من كده إيه؟

حاولت أن تبتسم حتى تخفى نبرة بكائها: شنط سفر، يبقى هاكون رايحة فين!مسافرة طبعا.

- تسافري؟ تسافرى فين؟

- هارجع لبابا، خلاص أنا تعبت من الوحدة، هارجعله أيا كانت النتيجة.

- الـكلام هنـا مـش هينفـع، ممكـن نـروح أى مـكان نقعـد ونتكلـم براحتنـا.

- صدقنـى خـلاص مابقـاش فيـه أى كلام يتقـال أنـا أخـدت قـراري، وكـمان قولتلـك ماتشـغلش نفسـك بيـا.

نظر إليها فى ألم:

أرجـوكى أنـا محتـاج أقولـك كلام مهـم اعتبريـه آخـر طلـب بمـا أننـا مـش هنشـوف بعـض تـاني، يمكـن يسـيبلك ذكـرى كويسـة ليـا.

سـكتت هنـد قليـلا وشـعرت بالحـيرة، ولكنهـا لم تسـتطع أن تعانـد قلبهـا أكـثر مـن ذلـك، فهـزت رأسـها بالقبـول وأغلقـت شـقتها وانصرفـا إلى مطعهـما الـذى اعتـادا الجلـوس فيـه.

نظـرت هبـة حولهـا فى شرود تكاتلـت عليهـا مئـات الأفـكار، دار أمامهـا شريـط بحياتهـا كلهـا، والدهـا وهـو يتعاطـى المخـدرات، سـهر والدتهـا عـلى ماكينـة التفصيـل، ذبـول والدتهـا يومـا بعـد يـوم، ابتسـامة هنـد، كلـمات فـارس المعسـولة. شـعرت بغصـة فى حلقهـا، ضميرهـا يؤنبهـا تجـاه هنـد التـى لم تخطـئ يومـا فى حقهـا، شـماتتها فى هنـد حـين ماتـت والدتهـا، عـدم رضاهـا بمـا قسـم لهـا ومـا وصلـت إليـه الآن.

أمسـكت برأسـها فى ألم وأطلقـت صرخـة مدويـة، اندفعـت بعدهـا إلى حجرتهـا وأغلقـت بابهـا بعنـف.

جلس يوسف وهند فى مقعدين متقابلين، ولا زالت نظراته متعلقة بها.

ابتسم وبادرها ليخرجها عن صمتها:ها عايزة تقولى إيه؟

رفعت حاجبيها: مش المفروض إنك انت اللى عايز تتكلم!

احتفظ بابتسامته: أنا عايز أسمعك الأول عايز أعرف بتفكرى فى إيه؟

تلاشت ابتسامته وأتبع: لسه زعلانة مني؟

تسارعت دقات قلبها، تنهدت ثم قالت: صدقنى أنا مش زعلانة منك ولا من أى حد، كلامك آخر مرة خلانى أعيد حساباتى فى حاجات كتيرة أوي، فى الحقيقة كنت واخدة بالى من كل الحاجات دي، بس كنت باحاول أتجاهلها، وكلامك خلانى أواجه نفسي.

- هند أنا كلامى ده كله كان من خوفى عليكي.

- أنا متأكدة من ده، وعلشان كده قررت أرجع لبابا وقررت أصلح أخطائي. لما ماما ماتت اتحرمت منها غصب عني، وفى لحظة طيش وغضب حرمت نفسى من بابا فى الوقت اللى أنا وهو كنا فى أشد الحاجة فيه لبعض.

نظر إليها بحنان، ورق لحالها.

نظرت إليه وتابعت فى رجاء: صدقنى أنا مش وحشة، أنا صحيح غلطت بس والله أنا مش وحشة، وباحب بابا اوى وباعتبر الفترة اللى بعدتها عنه مش محسوبة من عمري.

- صدقينى أنا كمان أنا عمرى ماحسيت جوايا تجاهك بأى حاجة وحشة، إحنا جمعنا سوء تفاهم كتير وده وقت إنى أصلح سوء التفاهم اللى بينا، لازم تعرفى عنى كل حاجة.

الفصل الخامس عشر

فزعت والدة هبة لسماعها صرخة ابنتها، فهرعت إلى حجرتها، وحين فتحت الباب تسمرت مكانها وشهقت فى فزع.

أسرعت إلى ابنتها الملقاة على الأرض وجسدها يرتعش بشدة كمصابة بحالة صرع، حاولت أن تحملها عن الأرض، ولكنها لم تستطع، فأسرعت إلى الشرفة وأخذت تصرخ استنجادا بالجيران الذين تجمعوا من كل صوب وحدب.

نظرت هند إلى يوسف فى فضول.

أسند يوسف ظهره إلى الوراء وتنهد ثم تابع:

أنا والدى الله يرحمه كان مقاول، ووالدتى الله يرحمها كانت ربة منزل. والدى كان لسه فى بداية طريقه، كل فلوسه اشترى بيها شقة ودى الشقة اللى كنا عايشين فيها. صحيح والدى ماكانش مقاول كبير بس مستوانا المادى كان أعلى بكتير من مستوى خالي، علشان كده خالى ده كان بيحاول يتقرب من والدى بأى وسيلة ودايما كان بيزورنا ويقول لوالدى يوسف ده ابنى اللى ماخلفتوش. وفى يوم والدى خرج لشغله زى كل يوم بس مارجعش زى كل يوم، عمل حادثة ومات.

تنهد يوسف فى ألم ومنع دموعه التى ترقرقت فى عينيه، وتحاشى النظر إلى هند التى بدا عليها التأثر، ثم تابع:

الصدمه كانت كبيرة على أمي، والدى كان فى عز شبابه وماكانش حيلتنا أى حاجة ساعتها غير الشقة اللى عايشين فيها، وفى السنه دى كنت تميت ست سنين ولازم أروح المدرسة، والدتى حست إن المصاريف هتزيد وما كانش لينا مصدر دخل غير والدى الله يرحمه، فقررت إنها تلجأ لأخوها. اتنقلنا علشان نعيش عنده فى شقته معاه هو وزوجته وبنته وأجرنا شقتنا، علشان نعيش من إيجارها. فى الأول خالى كان مرحب جدا وكان مبسوط كان فاكر إن والدتى محوشة ومعاها ثروة. دخلت المدرسة وعدت الأيام وبدأت المصاريف تزيد واكتشف خالى إننا ماحيلتناش أى حاجة.

وساعتها ظهرت حقيقته، واتغير ١٨٠ درجة.

قطع يوسف حديثه عندما أتى النادل ووضع كوبين من العصير أمامهما. لاحظت هند ملامح الألم التى ارتسمت على ملامحه وهو يسترجع تلك الذكريات المؤلمة ورقت لحاله، فقالت:

يوسف لو مش عايز تكمل بلاش، ماتضغطش على نفسك.

- بالعكس أنا كده مرتاح جدا، ونفسى تعرفى عنى كل حاجة، أرجوكى تسمعيلى للآخر.

استجابت هند لطلبه، وتابع هو: بعد ماخالى ومراته عرفوا إننا مش معانا أى فلوس يقدروا هما يستغلونا من خلالها، قرروا يستغلونا بشكل تانى أو يستغلوا والدتى على وجه الخصوص.

بدأت زوجته تستغل والدتى فى خدمة البيت، بقت والدتى هى اللى بتطبخ وتكنس وتمسح ومرات خالى تؤمر وبس، وياريت لحد كده دى بدأت كمان تتطاول على أمى وتهينها.

ابتسم فى ألم ثم أتبع: وكل ده على مرأى ومسمع من خالي، الى مع الوقت بدأ هو كمان يهينها. أمى كانت بتستحمل علشاني، علشان أكمل تعليمي. كانت بتمتص الإهانات كلها فى النهار وفى الليل تاخد من ظلام الليل حجاب توارى وراه دموعها وعجزها. كنت باسمع بكاها فى الليل، كنت باسمع شكواها لأبويا وحمدها وشكرها لربنا على كل حال، كانت بتنيمنى علشان دموعها ماتستحيش مني، بس كنت باحس بيها، ألمها كان بيوصلني؛ ماهى الى باقيالى مين هيحس بيها غيرى وأنا مين غيرها هيكسر وحدتى ويتمي.

اتحملت أمى لحد ما الصبر جزع منها وفاتها وحل مكانه المرض وكسرة النفس وجرح الروح، بقيت باشتغل وأنا بادرس من وراها علشان أعجل بمشينا من بيت خالي. قابلت مقاول كان صاحب والدي، اشتغلت معاه.

بس الموت كان أسبق، ماتت قدام عنيا. كانت بتحاول تخفى عنى وجعها بالموت، علشان ماتوجعنيش أنا، كانت بتبتسم ليا وأنا قاعد قدامها ماليش حيلة، ورغم كل الى شافته وصيتها ليا كانت غريبة، وصتنى إنى ما أبعش حد من لحمى وما أقطعش صلة رحمى وقالتلى الآية الكريمة»ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم» كانت تقصد خالى وقالتلى أنساله أى حاجة وحشة وأفتكر إنه أوانا فى بيته وسترنا من قهرة الحاجة.

وراحت أمى وسابتنى فى الدنيا لوحدي.

أجهش يوسف بالبكاء، كانت المرة الأولى التى تراه هند فيها على تلك الحالة، لأول مره تراه يبكي، بكت لبكائه وشعرت بآلامه وأحزانه تثقل قلبها هي، أخرجت منديلا وأعطته له، مسح دموعه وحاول أن يتماسك وأتبع:

تنفيذ وصية أمى كان صعب عليا، خصوصا إنى عارف إنها ما ماتتش من المرض، أمى ماتت بالذل اللى كسرها. سيبت شقة خالى وبالفلوس اللى كسبتها من شغل المقاولة أجرت أوضة وعيشت فيها ولما جمعت مبلغ كويس استرديت شقتنا اللى كنا مأجرينها؛ لأنى مابقتش فى حاجة لإيجارها، واستمريت فى شغلى مع دراستي، وخالى رجع يتقرب منى تانى لما عرف بأحوالى الجديدة. كنت بأحاول أنفذ وصية أمى معاه مع الحذر منه. وبدأ يستخدم حيلة جديده معايا. بنته... سلوى.

اتسعت عينا هند فى ذهول وتجمدت مكانها، ثم نظرت إلى يوسف فى تساؤل.

رد عنها يوسف تساؤلها وأتبع: أه سلوى تبقى بنت خالي، وتنفيذا لوصية أمى ماأقدرش أأذيها.

كانت هند تشعر أنها لا زالت تحت تأثير المفاجأة، فالتزمت الصمت، حتى استجمعت بعض قواها وتكلمت:

يوسف كل اللى أقدر أقولهولك إنى آسفة بجد عن أى أذى سببتهولك وعن أى سوء تفاهم سمحلى إنى أجرحك. انت... انت أحسن حد أنا قابلته فى حياتي.

كانت كلماتها تلك صادقة لدرجة أصابتها بالقشعريرة.

تبادلا نظرات الحب، وكل منهما يحمل بقلبه أسمى معانى المشاعر الطيبة.

ابتسم لها يوسف فى حب وقال: طب إيه؟

بادلته الابتسام وقالت:

إيه؟!

- إيه قرارك دلوقتي؟

- انت غيرت فيا حاجات كتير، وخلتنى أخد قرارات أهم نتايجها إنى راضية عن نفسي، ومن أهم القرارات دى إنى هارجع لبابا.

عادا إلى صمتهما مرة أخرى ودعا نظراتهما تفيض بما يسكن قلبيهما.

نظر إليها فى حماس وقال: مش يلا بينا علشان نلحق السفر بالنهار.

نظرت إليه فى عدم فهم: سفر إيه؟

- انتى ناسية إنك هتسافرى النهارده لباباكى انتى فاكرة إنى هاسيبك تركبى تاكسى ولا إيه؟

ضحكت هند وهى تنظر له بإعجاب: انت مش معقول.

حمل يوسف لهند حقائبها ووضعها فى سيارته، وانطلقا إلى منزل والدها.

التزما الصمت وقتا طويلا، ولكن بدا على يوسف الارتباك قليلا وتململ فى مكانه وكأنه يقاوم شيئا داخله.

نظرت إليه هند وتعجبت من حاله: يوسف فيه حاجة؟

فباغتها يوسف بسؤاله: هند انتى كنتى بتحبى فارس؟

الفصل السادس عشر

تفاجأت هند من سؤاله ولم تتخيل أبدا أنه قد يسأله، استجمعت بعض قواها وحاولت ترتيب كلماتها ثم قالت دون أن تنظر إليه: عارف الإنسان فى وقت من الأوقات بيتمسك بأفكار معينة وبيحترمها جدا وبتوصل لدرجة إنه ممكن يقدسها ويحرم المساس بيها، بس مع مرور الوقت بيبدأ يتخلى عنها؛ فى سبيل إنه بيتجه لأفكار بتكون أسمى وأرقي، وأنا كمان نسيت مشاعر حسيت بيها زمان وكنت فاكراها صادقة فى سبيل مشاعر تانية أسمى وأرقى بكتير.

تعلم هند أنها ربما كانت تشعر ببعض الحب تجاه فارس، أما عن حبها ليوسف فهو مختلف تماما إنه حب بنكهة ألحان عمر خيرت.

لم تكن هند تعلم من أين أتت بتلك الشجاعة كلها التى دفعتها لقول مثل هذه الكلمات، ولكن كل ما تعلمه أن كل كلمة قالتها كانت صادقة، وتعلم أيضا أن وجنتيها الآن تشتعلان حمرة.

لفتت وجهها عنه ونظرت من النافذة؛ فى محاولة منها لتبديد خجلها.

أما هو فشعر ببعض الارتياح، واعتدل فى جلسته وبداخله سعادة حاول أن يخفيها، ولكن راوده بعض القلق إزاء الخطوة التى كان مقدما عليها .

مـر وقـت طويـل التزمـا خلالـه الصمـت، ولكـن هنـد بـدا عليهـا بعـض القلـق وبـدأت تقـرض أظافرهـا فى توتـر: يوسـف تفتكـر مقابلـة بابـا هتكـون ليـا إزاي؟

- أنا متأكد إنه هيكون سعيد برجوعك جدا. ماتقلقيش.

ابتسـمت هنـد محاولـة طمأنـة نفسـها، ولكـن ملامـح القلـق لم تغـادر وجهها.

ظلـت هنـد تتخيـل عـدة صـور لاسـتقبال والدهـا لهـا، حتـى شـعرت بصـداع، فأسـندت رأسـها إلى الـوراء، وغفـت قليـلا.

حتى انتبهت على صوت يوسف: هند هند. انتى نمتى؟

شعرت ببعض الخجل: أنا آسفة.

- أنا بس عايز أعرف منك أدخل فى أى شارع.

- لأ كفايه كده أنا هاكمل لوحدي. شكرا.

رد يوسـف مازحـا: انتـى بخيلـة ولا إيـه؟ مـش هتعزمينـى عـلى كوبايـة شـاى مـع الوالد!

- أه طبعا اتفضل أنا آسفة. قلة ذوق مني.

ضحـك يوسـف وابتسـمت هـى فى خجـل. كانت تجهـل نيتـه الحقيقية، فـكان يريـد أن يشـاركها تلـك اللحظـة؛ حتـى يخفـف عنهـا توترهـا، هـو يعلـم أن والدهـا لـن يسـئ لهـا، ولكنـه يعلـم أيضـا أنهـا قـد تفقـد أعصابهـا خوفـا وتوتـرا. وكان ينوي-لـو سـمحت الظـروف-أن يطلـب يدهـا.

وصـلا أخـيرا، وأنـزل يوسـف حقائبهـا وحملهـا لهـا، أمـا هـى فوقفـت تنظـر للمنـزل مـن الخـارج وعلامـات الخـوف تبـدو عـلى وجههـا.

دلفت إلى داخل المنزل وصعدت درجات السلم فى تردد. وقفت أمام شقتها، شعر يوسف -الذى يبدو أنها نسيت تواجده-أنه يسمع صوت أنفاسها، وصدرها يعلو ويهبط فى خوف.

دقت جرس الباب وهى تنتظر والدها يفتح لها وبمخيلتها مئات الصور لاستقباله.

ولكن صورة واحدة لم تتخيلها، وهى أن تفتح زوجة أبيها لها الباب، وضعت زوجة أبيها حجابها وفتحت الباب.

وفور أن رأت هند صرخت باسمها فى لهفة وأخذتها بين أحضانها فى شوق وحنين.

أما هند فبدت كتمثال بلا حراك، بلا تفكير، بلا أى رد فعل.

أما يوسف فبدا كحامل حقائب فى محطة قطار.

خلصت هند نفسها من حضن تلك السيدة التى لا تعرفها، ونظرت إليها من أخمص قدمها إلى قمة رأسها بعينين ملؤهما الفضول والغيظ والتحقير.

دلفت هند إلى داخل الشقة غير مبالية بتصرف تلك السيدة ولا بوجودها وأخذت تنادى على والدها.

أذنت السيدة هند ليوسف بالدخول، فدخل، ووضع الحقائب التى كاد يهلكه حملها.

اتجهت هند إلى حجرة والدها، ووقفت عند بابها، لمحت والدها الذى جعله المرض طريح الفراش وتملك منه الضعف والهزال وأصبح إنسانا آخرا هزيلا ضعيفا غير الذى عرفته.

سقطت الدموع من عينيها وهمست فى ألم: بابا!

فتح لها ذراعيه وهو يبكى فى وهن: هند بنتي.

ارتمت فى أحضانه وانخرطا فى البكاء.

بعد لحظات انتبهت لوجود زوجة أبيها تقف على بعد خطوات منها وتنظر إليهما بحنان والدموع ترقرق فى عينيها.

تعجبت هند من سلوك تلك السيدة، ولكنها فسرته على أنه خبثا منها ومحاولة للتقرب منها ومن والدها، فلم تبادلها هند إلا نظرات الاحتقار والبغض.

نظر والدها لزوجته وقال: تعالي.

اتسعت عينا هند الابنة فى دهشة، يالها من صدفة غير سارة، إنها تحمل نفس الاسم. لولا أن والدتها -رحمها الله-هى من أسمتها هندا لبغضت اسمها إلى الأبد.

نظر إليها والدها بحنان وقال: وحشتينى يابنتي، أنا قلت إنى هاموت قبل ما أشوفك.

- بعد الشر عليك يابابا. أرجوك سامحني.

- سامحينى إنتى يابنتي، لو كنتى تعرفى كل حاجة من الأول ماكانش كل ده حصل.

نظرت إليه هند فى عدم فهم، فربت على كتفها وقال: تعالى يابنتى هنا جنبى وأنا هاحكيلك كل حاجة.

الفصل السابع عشر

ابتسمت زوجته وقالت بحنان:

سيبها دلوقتى ياقاسم، أكيد تعبانة من السفر وعايزة تستريح.

تجاهلت هند الابنة كلمات زوجة أبيها، وحاولت إخفاء ضجرها وقالت:

قول يا بابا كل اللى انت عايزه، من النهارده مش هاسمع غيرك وبس.

تنحنحت زوجة أبيها فى خجل واستأذنت فى الانصراف: بعد إذنكم، هاسيبكم براحتكم.

قاسم: لأ استنى اقعدي.

حاولت الزوجة تبرير انصرافها؛ حتى يدعها تذهب تجنبا لأى مشاكسات من هند: أصلى لسه ماقدمتش حاجة لضيف هند، بعد إذنكم.

انصرفت الزوجة وهى تحاول رسم الابتسامة على وجهها.

نظر قاسم إلى ابنته مستوضحا جملة زوجته.

شهقت هند لأنها نسيت يوسف وشعرت بالخجل إزاء ذلك:

يوسف، أنا نسيته.

- مين يوسف؟

- ده يابابا الشخص الوحيد الى وقف جنبى بجد وساعدني، ولولاه كنت اتعرضت لحاجات كتير أوي، وكمان أصر إنه يوصلنى النهارده بعربيته لما عرف إنى راجعة.

- إذا كان كده ناديه يابنتى علشان أشكره.

نهضت هند بحماس: حاضر يا بابا.

لاحظ والدها حماستها فابتسم وحمد الله أنه أعادها إليه سالمة.

خرجت هند إلى يوسف وهى تبتسم فى خجل: أنا آسفة اتأخرت عليك؟

بادلها الابتسام وقال: لا أبدا، أهم حاجة والدك عامل إيه؟

- عايز يشوفك ويسلم عليك.

حاول يوسف تهيئة نفسه لتلك اللحظة الفارقة؛ فتلك مقابلته الأولى مع والد هند والتى من المحتمل أن يكون والد هند فيها فكرته كاملة عن يوسف.

قادت هند يوسف إلى غرفة أبيها وأشارت له بالدخول: اتفضل يا يوسف. بابا ده يوسف.

دنا يوسف من والدها ومد يده إليه بالسلام، وعلى الرغم من عجزه ومرضه إلا أن يوسف لمح فيه القوة الداخلية والرجولة المكتملة.

يوسف: اتشرفت جدا بمقابلة حضرتك.

- أنا اللى اتشرفت بيك ياابني، كفاية إنك كنت عنيا اللى بتراعى هند أثناء بعدها عني.

ابتسم يوسف، وشعر ببهجة داخليه نتيجة إطراء والد هند.

حينها دخلت الزوجة وقدمت لهم مشروبا ساخنا وهى تقول: أرجوكم تحاولوا تقنعوه إنه يتنقل المستشفي، هو كان رافض لحد مايتطمن على هند وأهى جت هند، مابقاش ليك حجة يا قاسم.

قال قاسم بانفعال: لأ أنا مش هاروح المستشفى غير لما أحكى لهند كل حاجة.

هند: أرجوك يا بابا ماتجهدش نفسك، وأى حاجة عايز تقولها أنا هاسمعها، بس أرجوك نطمن عليك الأول.

يوسف: أنا آسف للمقاطعة ولو تأذنلي، صحة حضرتك أكيد تهمنا كلنا، وأنا مستعد أوصل حضرتك للمستشفي.

هند: أيوه يابابا أرجوك، أنا حاسة بذنب فظيع على اللى أنا عملته، ومش هاستريح غير لما أطمن عليك.

نظر قاسم لزوجته طالبا رأيها. فابتسمت له بحنان مشجعة إياه، فهز رأسه موافقة.

خرجت هند ويوسف من حجرة والدها، وأخذت زوجة أبيها تعد له حاجياته التى قد يحتاج إليها بالمشفي.

نظرت هند إلى يوسف فى قلق وسقطت عبرة من عينها.

ابتسم لها يوسف، محاولا التخفيف عنها: إن شاء الله هيبقى كويس.

- أنا خايفة أوى عليه، أول مرة أشوف بابا تعبان كده.

- رحمة ربنا واسعة، وهيخفف عنه.

- حاسة بالذنب أوي.

- كل حاجة مقدرة، وماتشيليش نفسك فوق طاقتها، وبعدين باباكى علشان يخف لازم نفسيته تكون مستريحة وأكيد مش هيستريح غير لما يشوفك مبسوطة، غيرى نبرة اليأس دى بقي.

التزما الصمت قليلا، ثم نظر لها يوسف ويبدو أنه أراد إخبارها شيئا ولكنه عدل عنه.

هند: عايز تقول حاجة يا يوسف؟

حينها خرجت زوجة أبيها وهى تسنده وقالت: إحنا جاهزين.

أسرع يوسف إليهما وساعدها فى إسناده، خرجا من الشقة، تخلفت هند عنهم، ووقفت تفكر فيما كان سيقوله يوسف.

وصلوا المشفى وأنهى يوسف الإجراءات اللازمة. وانتقل والدها إلى غرفته بالمسشفي.

من حين لآخر كانت هند تنظر ليوسف متسائلة عما كان سيقوله لها، ولكنها لم تتلق منه جوابا.

حضرت إليهم ممرضة، وأخبرتهم بأن المريض يريد رؤيتهم،

توجهوا لغرفة قاسم.

نظر إليهم قاسم وقال بإصرار: أنا سمعت كلامكم ودلوقتى لازم تسمعوني.

استأذن يوسف بالانصراف، ولكن هند ترجته بعينيها وهمست: استنى يا يوسف خليك.

نظر إليها فى حيرة، فقال والدها؛ نزولا على رغبتها: خليك ياابني.

كانت هند فى أشد الحاجة ليوسف؛ فالآن ستعرف ما رفضت سماعه سابقا وكانت النتيجة أن حياتها كادت تنهار. شعر يوسف بحاجتها إليه فبقي.

تنهد قاسم بعمق وقال: قبل ماتسافرى قولتلك إنى عاوز أتجوز، صحيح أنا ماقولتلكيش السبب وماكنتش هاقولك الحقيقة كاملة، بس دلوقتى لازم تعرفي.

كان الجميع ينصت إليه باهتمام ونظراتهم متعلقة به، إلا زوجته التى كانت تنظر له بحب وحنان.

تابع: أنا مريض وعارف مرضى ولما المرض زاد عليا قدمت استقالتي، لأنى مريض بالسرطان.

شهقت هند فى فزع، ووضعت يدها على فمها، وانسابت الدموع على خديها.

تابع والدها: الأدوية اللى كنت باخدها كانت بتهمد جسمي، ماقدرتش أواظب على شغلي، فقدمت على معاش مبكر. غيابى الكتير عن البيت كان بسبب المرض لأنى كنت باتعالج، كنت باحاول أنا ووالدتك على قد مانقدر نخبى عليكي؛ علشان ماتخافيش ماتحسيش بيتم وأنا عايش. كان نفسنا تعيشى حياة طبيعية. لما كنتى بتنامى كنت باترمى فى حضنها وأصرخ من الألم، على قد ما أقدر كنت بأكتم صرختي؛ علشان ماتحسيش بوجعى ولا أتكسر قدامك لما تشوفينى بأصرخ ودموعى بتسيل.

انخرطت هند فى البكاء، وهى تنظر لوالدها بألم.

تابع والدها: كانت هى ملجأى زى ما كانت ملجأك، بس لما ماتت كنت محتاج حد اترمى فى حضنه وأكتم فيه صرخاتي؛ علشان

بـرده ماتحسـيش بحاجـة، رغـم وجعـى كنـت بأحـاول أتبسـملك. صدقينـى كل ده عملتـه علشـان مـا أضايقكيـش، بـس طلعـت غلطـان ومـا قدرتـش بـرده أحافـظ عليـكي.

انهمـرت الدمـوع مـن عينيـه وهـو يتابـع: أعمـل إيـه يابنتـى مـا كنتـش أعـرف إن أجـل والدتـك قبـل أجـلي، مـش بإيـدى يابنتـي، رغـم مـرضى إلا إن ربنـا اختارهـا هـي، لـو بإيـدى كنـت اخـترت المـوت لنفـسى وفديتهـا علشـان تفضـل جنبـك أكيـد كانـت هتخـلى بالهـا منـك أكـتر منـي.

ارتمـت هنـد فى حضنـه وهـى تـردد مـن بـين دموعهـا: بعـد الـشر عليـك يابابـا، بعـد الـشر عليـك.

لم يستطع يوسف وهند الزوجة أن يقاوما دموعهما.

ابتسم قاسم لابنته وقال: أنا كده استريحت إنك عرفتى كل حاجة.

نظـرت لـه زوجتـه، وكأنمـا أرادت أن تقـول شـيئا مـا، ولاحظهـا يوسـف وهنـد، إلا أن قاسـم أسـكتها بنظراتـه، تعلقـت نظراتهـا بـه فى رجـاء، ولكـن تلـك المـرة أسـكتتها نظراتـه الصارمـة.

فأطرقت فى جزع، وارتسم اليأس على ملامحها.

وحينها أدركت هند أن للسر بقية لم يحن بعد وقت الإعلان عنها.

الفصل الثامن عشر

كانت هند تنظر لوالدها بحزن وأسف، وتمنت لو عادت بها الأيام؛ لتعوضه عما سببته له من أذي.

كلنا مخطئون، ولكن الفارق هو الاعتراف بالخطأ والعمل على إصلاحه.

خرجت هند ويوسف من غرفة أبيها وتركاه وزوجته.

نظرت هند ليوسف والدموع تسيل على وجنتيها بلا توقف:

ماكنتش متخيلة إن السر ممكن يكون بالقساوة دي.

- علشان كده دايما كنت باقولك تتأنى وماتحكميش على الأشخاص علطول.

ود يوسف لو أنه استطاع أن يخبرها بما يشغله، ولكن الوقت غير مناسب؛ فهى الآن منهارة ولن تحتمل ملاحظاته.

نظرت هند الزوجة لقاسم فى عتاب:

ليه ياقاسم ماقولتلهاش كل حاجة؟

- البنت راجعة من السفر تعبانة، وأعصابها مش هتتحمل إنها تعرف كل ده مرة واحدة، الصبر الصبر.

- لحد امتى هاصبر؟ لحد امتى صورتى هتفضل وحشة فى نظرها؟

- شـوفى الـلى أنـا ماقلتـوش ده الجـزء الـلى يخصـك ولازم انتـى تحكيهولهـا بنفسـك، وقـت ماتلاقيهـا ارتاحـت شـوية تقـدرى تحكيهولهـا.

شعرت الزوجة ببعض الرضا بعد كلمات زوجها الأخيرة.

تابع زوجها:

لازم دلوقتى تاخدى هند وتروحوا.

- ونسيبك لوحدك!

- البنـت تلاقيهـا تعبانـة، ومـش هينفـع تقعـد فى البيـت لوحدهـا، وإن كان عليـا أنـا واخـد عـلى كـده ماتقلقيـش.

- اللى تشوفه يا قاسم.

خرجت زوجته إلى هند ويوسف، ووجهت كلامها لهند:

يالا علشان نروح.

كانت هند تتجنب النظر إليها؛ تحقيرا لها وردت بأنفعال:

أنا هاقعد مع بابا، عايزة انتى تروحى اتفضلي، إنما أنا مش هاسيبه.

- دى رغبة باباكي.

زفـرت هنـد فى ضيـق وكادت تـرد عليهـا، لـولا يوسـف الـذى تكلـم فى نفـاد صـبر مـن أسـلوبها: هنـد انتـى لازم تروحـي، وجـودك هنـا مـش هينفـع بابـاكى فى حاجـة، وكـمان لازم ترتاحـي.

وافقـت هنـد رغـما عنهـا؛ تجنبـا لأى صـدام مـع يوسـف، ولشـعورها بالاحتيـاج للراحـة والتـى لـن تحصـل عليهـا إذا بقيـت بالمشـفي.

أقلهـما يوسـف بسـيارته إلى منزلهـما، ودعتـه السـيدة هنـد لتنـاول العشـاء معهـما، ولكنـه رفـض بأسـلوب مهـذب؛ لكـون الظـروف لا تسـمح. انـصرف يوسـف وقـد عاهـد هنـد عـلى أن يتصـل بهـا ليطمـئن عـلى حالهـم.

دلفـت هنـد وزوجـة أبيهـا إلى شـقتهما واتجهـت كل منهـما لغرفتهـا دون أن توجـه إحداهـما كلمـة للأخـرى.

بينما كانت هند ترتب حاجياتها، كانت زوجة أبيها تعد العشاء،

وبعـد أن انتهـت السـيدة هنـد مـن إعـداد العشـاء توجهـت لغرفـة هنـد واسـتأذنت فى الدخـول: يـالا علشـان تتعـشي.

نظـرت إليهـا هنـد وتذكـرت والدتهـا، وكيـف تحـل تلـك السـيدة محلهـا الآن، بـل وتظـن نفسـها أنهـا سـيدة المنـزل.

أعـادت السـيدة هنـد جملتهـا مـرة أخـرى عـلى مسـامع هنـد؛ لتخرجهـا مـن شرودهـا، فأجابتهـا هنـد فى ضجـر: مـش عايـزة، ماليـش نفـس، وياريـت تسـيبينى لوحـدي.

- بس انتى ماكلتيش حاجة من الصبح.

ردت هند فى انفعال:

وبعدين بقي، قولتلك مش عايزة.

- طيب تحبى أرتب الحاجات معاكي؟

- لأ، وفرى مجهودك لنفسك.

انصرفـت السـيدة هنـد وهـى تحـاول منـع دموعهـا، بينـما كانـت هنـد تزفـر فى ضيـق.

استيقظت هند فى الصباح مبكرا حتى تذهب لوالدها بالمشفي، ولاحظت أن زوجة أبيها لم تتناول عشاءها بالأمس، تجاهلت الأمر، وتابعت فى طريقها.

بدلت هند ملابسها، وقبل أن تخرج من باب الشقة استوقفتها زوجة أبيها:

هند رايحة فين؟

أجابتها هند فى تأفف:

رايحة أزور بابا وأطمن عليه؟ عندك مانع؟!

- لأ ماعنديش، بس لسه أربع ساعات على ميعاد الزيارة.

تظاهرت هند بعلمها بالأمر:

عارفة.

- طيب استنى هنفطر وننزل سوا.

تراجعت هند؛ لأنها بالفعل كانت تشعر بالجوع، كما أنها لم تكن تعلم أين كانت ستقضى الأربع ساعات قبل الزيارة.

تناولتا إفطارهما، وكانت السيدة هند تشعر بسعادة بالغة؛ لموافقة هند على تناول الإفطار معها.

بعد انتهائهما من تناول الإفطار توجهتا إلى المشفي، وهناك اطمأنتا على حالة قاسم.

كانت كل منهما تشعر بسعادة بالغة لاستقرار حالته،

وفى طريق عودتهما نظرت السيدة هند إلى هند وهى تبتسم:

الحمد لله اطمنا على حالة قاسم.

- الحمد لله.

- تعـرفى إن طـول الفـترة الـلى فاتـت حالتـه مـا كانتـش بتتحسـن وجسـمه مـا كانـش بيسـتجيب للعـلاج.

نظرت إليها هند مستوضحة، فأردفت السيدة هند:

أصل غيابك كان مأثر على نفسيته أوي، ربنا يخليكوا لبعض.

تفكرت هند ألهذه الدرجة كان سوء تصرفها مصدر أذى لأبيها؟

يالها من حمقاء كادت تفقد أعز إنسان بسبب طيش طفولي.

انتبهـت هنـد عـلى صـوت هاتفهـا، وجـدت المتصـل يوسـف، فأجابـت فى لهفـة: يوسـف.

- إزيك؟

- الحمد لله.

- وباباكى عامل إيه؟

- الحمد لله الدكاتره بيقولوا إن حالته مستقرة.

- الحمد لله.

قالت السيدة هند:

هنـد أنـا هادخـل السـوبر ماركـت ده أشـترى شـوية حاجـات للبيـت، تيجـى معايـا؟

أجابتها هند بضجر:

لأ هاستناكى هنا.

سـمع يوسـف أسـلوب حوارهـا مـع السـيدة هنـد وشـعر بالضيـق إزاء ذلـك: انتـى لسـه بـرده زى ماانتـي؟

- يعنى إيه؟

-إحنا اتفقنا على إيه؟

- إيه يا يوسف؟ مش فاهماك.

- مش قولتلك ماتحكميش على حد من غير ماتعامليه.

- تقصد مرات بابا؟ أنا بس مش قادرة أتخيل إنها أخدت مكان ماما.

- ومين قال إنها أخدت مكانها!كل واحد وله دوره فى الحياة واللى مستحيل حد غيره يقدر يؤديه عنه، ربنا خلقنا وخلق لكل واحد فينا دور بيميزه.

- أنا عارفة إن كل كلامك صح، بس حقيقى مش قادرة.

- ده اختبار حقيقى ليكي، واحتمال ماتمريش باختبار تانى فى نفس قوته، لازم تثبتى لنفسك إنك بتتحسنى وبتتعلمى من أخطائك.

أجابته هند فى اقتناع:

حاضر يايوسف.

- عايز أقولك على حاجة تانية، كل مره كنت باحاول أكلمك فيها بس الظروف ماكنتش بتسمح.

أنصتت له هند باهتمام، بينما تابع هو:

ما لاحظتيش مقابلة مدام هند ليكي؟

- أه علشان يعنى حضنتنى وكانت فرحانة برجوعي، دول شويتين بتحاول تكسبنى بيهم.

- هند هى عرفتك منين اصلا؟ انتى مش قولتيلى إنك كنتى واخده كل صوركم؟

أجابت هند فى حيرة: أيوه.

- بس دى كانت عارفاكى ياهند، غير كده شوفتى نظراتها لباباكى فى المستشفى بعد ماخلص كلامه، عينيها كانت بتقول حاجة.

سكتت هند وتملكتها الحيرة.

يوسف: هند انتى معايا؟

- أيوه يايوسف. انت تعرف حاجة؟

- لأ، أنا بس الحاجات دى لفتت نظرى أوى وبصراحة من ساعة ماحصلت وأنا بافكر فيها ومش لاقى إجابة.

فى تلك اللحظه خرجت السيدة هند من المتجر.

فأنهت هند المكالمة مع يوسف: مع السلامة يايوسف دلوقتى وهاكلمك تاني.

ظلت هند تنظر لزوجة أبيها بتفحص وحيرة طوال الطريق، وزوجة أبيها كانت تبتسم لها.

إلى أن وصلتا، وأمام شقتهما وجدتا سيدة تجلس فى انتظارهما.

نظرت إلى هند بعينين ملؤهما اللهفة، وقالت: الحمد لله إنى لقيتك.

الفصل التاسع عشر

نظرت هند إلى تلك السيدة بعينين ملؤهما الغضب:

نعم؟

- أنا جايالك يابنتي..

قطعت حديثهما السيدة هند وهى تفتح باب الشقة:

اتفضلى يامدام اتكلموا جوه، ماينفعش تتكلموا كده على السلم.

تأففت هند، بينما تبعتهما تلك السيدة إلى داخل الشقة فى خجل.

قادتها هند إلى إحدى الغرف وتعمدت إغلاق بابها؛ حتى لاتسمعهما زوجة أبيها.

ترقرت الدموع فى عينى تلك السيدة وهى تنظر لهند برجاء:

أنا جيتلك يابنتى علشان تقفى جنبي.

تماسكت هند قليلا وحاولت ألا تنفعل:

أنا طول عمرى وأنا باقدرك وباحترمك، بس اللى حصل ما كانش شوية، اللى حصل لسه واجعني.

أجهشت السيدة بالبكاء:

أرجوكى يابنتي، هبة بنتى بتموت.

تحولت ملامح هند من الغضب إلى الصدمة، بالفعل قامت هبةبإيذائها كثيرا، لكن تلك الجملة الأخيرة آلمتها.

أتبعت السيدة وهى تبكي:

أنا عارفة إنها آذتك كتير ووجعتك أوي، بس هى دلوقتى محتاجالك وانتى من بيت كرم ومش هتتأخرى عنها.

- هى اللى بعتتك ليا؟

- هبة مش فى الدنيا أصلا، مابقتش واعية لحاجة.

فارس- منه لله - ذلها كتير، وفى الآخر جه البيت وهددها وطلب شبكته وعايرها بأن أبوها مقبوض عليه فى قضية تعاطي، بعدها قعدت تصرخ ودخلت أوضتها، ولما دخلت أوضتها لقيتها مرمية على الأرض مابتتحركش، ومن يومها يابنتى لا بتاكل ولا بتشرب ولا بتتكلم وكأنها فى دنيا غير الدنيا.

- وباباها؟!

- خرج من النيابة النهارده بكفالة، لما عرف باللى حصل مارجعش على البيت ومن ساعتها وأنا خايفة ليأذى فارس ويلبس جناية، أنا مابقتش حمل حاجة تاني.

شعرت هند بالحزن لحال تلك السيدة التى لم تهنأ يوما برغد العيش أو راحة البال، ورقت أيضا لحال هبة، على الرغم مما سببته هبة لها إلا أنها تعلم بأنها عاشت حياة غير مستقرة فى بيئة ضحلة وظروف قاسية.

- وإيه المطلوب مني؟

- عايزاكى تيجى معايا.

دخلت السيدة هند وقدمت لهما مشروبا، وحينها كفا عن الكلام حتى خرجت.

بعد أن خرجت عادا لحديثهما، وتساءلت هند:

وأنا هاجى أعمل إيه؟

- الدكتور قال إنها لو قابلت ناس بتحبهم ولا حصلت حاجة تفرحها ده هيساعد إنها ترجع تحس بينا تانى وتتكلم وتضحك زى زمان.

ضحكت هند بسخرية: ناس بتحبهم!

- علشان خاطرى يابنتي.

شردت هند فى التفكيرعما إذا كانت تستطيع مواجهة هبة، بل ومساعدتها أيضا على العلاج، أم أن تلك المهمه يصعب عليها تنفيذها. وتذكرت كلام يوسف(ده اختبار حقيقى ليكى واحتمال ماتمريش باختبار تانى فى نفس قوته، لازم تثبتى لنفسك إنك بتتحسنى وبتتعلمى من أخطائك)

فابتسمت هند لوالدة هبة وهزت رأسها موافقة، وتوجهت إلى باب الغرفة لتفتحه، فوجدت زوجة أبيها تقف خارجه تسترق السمع.

اتسعت عينا هند فى غضب، واحمرت وجنتا السيدة هند فى خجل.

جزت هند على أسنانها وهى توجه حديثها للسيدة هند: بعدين هيكون لينا كلام تاني.

رفعت السيدة هند عينيها: هند انتى رايحة فين؟

زاد غضب هند وقالت بانفعال: إيه ماسمعتيش وانتى بتتصنتى علينا؟

خرجت هند مع والدة هبة وأغلقت باب الشقة خلفها فى عنف، وتركت السيدة هند جامدة مكانها.

شعرت السيدة هند بجسدها يرتعش، وحلقها جاف، استلقت على مقعد قريب، ومن ثم أجهشت بالبكاء.

فى طريق هند إلى منزل هبة، كانت تفكر فيما فعلته زوجة أبيها وإلى مدى وصلت وقاحتها، وتذكرت حديث يوسف معها وحينها شعرت بالسخط والضجر، فهى فى حيرة ما بين نصائح يوسف وتصرفات زوجة أبيها المريبة.

وصلت هند منزل هبةأخيرا، وحينها تركز تفكيرها فى هبة وكيف سينقضى ذلك الموقف. دعتها والدة هبة هندا إلى الدخول.

وقفت هند أمام غرفة هبة، وتذكرت مجىء هبة شامتة حين ماتت أمها، شعرت هند ببعض الانفعال، وكادت أن تتراجع، ولكنها ليست كهبة، ليست أخلاقها كأخلاق هبة، ستقف إلى جوارها بصدق ولن تشمت بها.

دلفت هند إلى حجرة هبة ووجدتها كما وصفتها والدتها، كانت ترنو إلى هدف ما أمامها، بلا حراك.

اقتربت هند منها، أما هبة فلم يتحرك لها ساكن.

أشارت والدة هبة إلى هند بالحديث.

فنظرت هند إلى هبة وحادثتها بصوت خافت ملئ بالألم والاعتبار: إزيك ياهبة؟

لم تتلق ردا من هبة، فنظرت هند إلى والدة هبة واستأذنتها:

ممكن حضرتك تسيبينا شوية؟

- حاضر يابنتي.

خرجت والدة هبة وأغلقت الباب. وجدت هند نفسها على راحتها، فأخرجت ما فى جعبتها: هبة، أنا متأكدة إنك سامعاني، علشان كده هأقولك كل اللى فى بالي. فاكرة يا هبة لما جيتيلى لما ماما ماتت؟ فاكرة قولتيلى إيه وقولتلك إيه؟

امتعض وجه هبة، فعرفت هند أن لحديثها موضع استجابة عند هبة، فتابعت: بلاش نفتكر اللى قولتيهولي، بس فاكرة أنا قولتلك إيه ساعتها؟ قولتلك إن فارس ده مش حاجة يتزعل عليها.

لو كنتى زعلانة عليه تبقى غلطانه يا هبة، أنا أهوه سيبته وعشت وكملت حياتى بفرحها وحزنها، صحيح فقدت حاجات كتير، بس دايما ربنا بيعوضنا؛ لأن كل حاجة ولها وقتها فلما ربنا بياخد منك حاجة بيكون وقتها فعلا انتهى وبيعوضك بالحاجة الأنسب للوقت ده.

متضايقة ياهبة؟ متضايقة إنك عشتى حياة صعبة!ومين فينا متهنى علطول!لما هنعيش حياتنا كلها سعدا أمال ربنا هيختبرنا بإيه وإزاي؟

كانت هند تشعر بأن تلك الكلمات موجهة لنفسها لا لهبة، كانت هى أحق بتلك النصائح من هبة؛ على الأقل هبة عاقبت نفسها بالاستغناء عن عالمنا، أما هند فلا زالت تعاند وتكابر وترتكب من الأخطاء ما تسع له صحيفة أخطائها، فترقرقت الدموع فى عينيها. وتابعت وهى تحاول منع نفسها من البكاء:

صدقينى لازم تكونى أقوي؛ لأن الحزن بيفتت القوة اللى محتاجينها علشان نستقبل بيها الفرحة.

ابتسمت هند وتابعت: هاجيلك تانى وهنتكلم سوا؛ لأنى مش متعودة إنى أتكلم كده لوحدي.

انصرفت هند دون أن تلاحظ نظرات هبة التى كانت تتابعها بعينين مبتسمتن.

نار الحيرة كانت تشتعل داخل هند؛ لا تعلم إن كانت بالفعل تحتاج لتقويم نفسها مرة أخرى، أم أنها الآن على النهج الصحيح.

يوسف يحاول أن يعيد توجيهها، وأمور كثيرة تقلقه عليها؛ فهى دائما ماتتصرف بحماقة، ولكن زوجة أبيها -أيا كان السر الذى تخفيه- فتصرفاتها مريبة، ولا يحق لها التلصص على هند.

استقرت هند إلى أن تحسن التصرف حتى ينكشف كل شىء، وحتى لاتسوء حالة والدها إذا أغضبته بتصرفاتها، وبالطبع حتى لا يغضب يوسف. وصلت هند أخيرا، وقد قررت أن تتماسك وهى تحاور زوجة أبيها.

دلفت إلى الشقة وبحثت عن السيدة هند، وجدتها نائمة فى حجرتها(حجرة والدة هند سابقا).

تنهدت هند فى ألم حين تذكرت والدتها، وتخيلتها تقف فى الحجرة تنتظرها بابتسامتها المعهودة، ولكن الواقع أخرجها من تخيلاتها بصفعة قوية حين انتبهت مرة أخرى لوجود زوجة أبيها.

تقدمت نحو السيدة هند فى بطء، ثم نادتها، ولكنها لم تجبها، هزتها برفق، فاعتدلت السيدة هند وجلست دون أن تنظر لهند، لكن هند لاحظت أنها لم تكن نائمة، بل ويبدو أنها كانت تبكي؛ فالحمرة تكسو عينيها.

بنبرة متماسكة سألتها هند: ممكن أفهم تفسير الى حصل النهارده، لا لا مش بس النهارده أنا عايزة أفهم كل حاجة، فى حاجة أنا مش فاهماها، وكده أعتقد إن عمر ماهيبقى فى بينا نقطة التقاء.

بعينين دامعتين أجابتها السيدة هند: أقسملك إنى ما كانش قصدي، أنا لما دخلت أقدملكم الشاى سمعتها وهى بتقولك تعالى معايا، وقبل ماندخل الشقة كان باين عليكى مش مرتاحة لوجودها، فخفت عليكي، كنت عارفة إنك مش هتقوليلى مين دي، فقولت أسمعكم وأعرف علشان أطمن عليكي.

- انتى فاكرة إنى هاصدق كلامك بقي، انتى تعرفينى أصلا علشان تخافى عليا، وماتقوليش انتى أمانة لحد ما باباكى يخف.

أجهشت السيدة هند بالبكاء، فانفعلت هند وأشاحت بيدها فى غضب، واصطدمت يدها بشيء وسقط أرضا، انحنت هند والتقطته.

ضيقت عينيها وتمعنت فى دهشة: دى صورة ماما، جبتيها منين الصوره دي؟!

الفصل العشرون

زاغت نظرات السيدة هند؛ تحاول التهرب من الإجابة.

كررت هند سؤالها بانفعال: جبتى الصورة دى منين؟ أنا كل صور ماما معايا، ده غير إن الصورة دى أول مرة أشوفها أصلا.

- هند، أكيد كنت هأقولك كل حاجة، بس بناء على رغبة قاسم كنت مستنية أعصابك تهدي.

مدت السيدة هند يدها إلى كوب ماء كان بجانب سريرها وشربته؛ حتى تخفف من حدة شعورها بالموقف.

تابعت بصوت مرتجف: أنا أصغر إخواتي، من زمان أوى وأنا فى سنك تقريبا كانوا إخواتى كلهم اتجوزوا وفضلت أنا عايشة مع ماما، لحد ما قابلت فارس أحلامي، كل حاجة حلمت بيها واتمنيتها كانت موجودة فيه، اتعلقت بيه، وحبيته لدرجة الجنون، هو كمان حبنى بجنون، واتقدملي، ما كانش فيه أى عيب يعيبه أو سبب يبيح رفضه، طرت من الفرحة لما ماما وافقت عليه، من غير مبالغة حسيت إن الفرحة أكبر من إنى أتحملها، معقولة للدرجادى ربنا هيكرمنى وراضى عني؟!الفرحة دى كلها ليا لوحدي!كان ده كل إحساسى لحد ماخطيبى بدأ يتعب ويلف على الدكاترة ويعمل فحوصات وتحاليل لحد ما اتأكدنا إنه مصاب بالسرطان، السرطان اللى قرر فجأة يداهم حياتنا

ويغتال سعادتنا؛ لأن بكل بساطة مابقاش ينفع زوج مناسب من وجهة نظر ماما، إيه اللى يخلينى أربط حياتى بحياة واحد مريض بالسرطان وحياته مهددة، غير إنى هافقد متعة الحياة ما بين المستشفيات والأدوية. دى وجهة نظر ماما اللى قدرت تنتصر على حبنا وإرادة قلوبنا.

تنهدت السيدة هند فى ألم، وهند تنصت لها باهتمام.

تابعت: بعد مارسمت أحلام وأمانى وعمر جديد هاشاركه معاه، اتهدمت كل حاجة فى لحظة، قررت أتنازل عن حبى فى سبيل إنى ما أغضبش أمى واحتسبت كل ده عند ربنا، وبعد شهر ونص من المعاناة- ماكنتش شايفة للدنيا لون ولا حاسة للحياة بطعم -خرجت بقرار وهو إنى أستعين بصاحبتى الوحيدة، طلبت منها إنها تتجوز خطيبي.

اتسعت عينا هند فى دهشة والسيدة هند تتابع: أه تتجوزه، ماهو ما ينفعش أسيبه يقاتل مرضه لوحده، كنت عارفة إنها قد المسئولية، اتخلت عن كل أحلامها فى سبيل إنها تحقق حلمى اللى عجزت أنا عن تحقيقه.

بعد ما اتجوزوا، مامتى ماتت وسابتنى لوحدى فى الدنيا، قررت أبعد وأسيب صاحبتى تتهني، مش عايزة قربى منهم يفسد حياتهم، سافرت بره مصر وواجهت الغربة والوحدة وفقدان الحبيب لوحدي، بس صاحبتى طلعت أنبل مما تتخيلي، دورت عليا وسألت لحد ماقدرت توصلى وما رضيتش تتخلى عنى وبدأت تبعتلى أخبارها أول بأول، وبعد فترة جوزها خف الحمد لله واتكتب له الشفاء وبقيت أعتبر كل حدث بيحصلها هو حدث فى حياتى أنا، وكل تفصيلة فى حياتها هى جزء من حياتي.

طلبت منى كتير إنى أرجع، بس ماوافقتش؛ ماهو ماينفعش بعد التضحية دى كلها أرجع وألغبطلهم حياتهم.

بس دلوقتى رجعت علشان أنفذ وصيتها، وأتجوز جوزها اللى تناوبنا الأدوار فى الوقوف جنبه ومساعدته، ومافيش واحدة فينا فكرت يوم وهى بتساعده إنها بتقوم بدور غير دورها ولأن المرض رجعله تانى كنا مضطرين ننفذ وصيتها فى أسرع وقت، غير إن بنتها كمان كانت محتاجالى ماهى بنتى زى ماهى بنتها، مش باقولك إن كل تفصيلة فى حياتها تخصني.

ترددت تلك الجملة فى ذهن هند «دى علبة ماكياج طلبتها من واحدة صاحبتى مسافرة بره، ولما عرفت إن النهارده خطوبتك بعتتهالك هدية»

اكتملت الحلقة المفقودة، والآن أصبحت تفهم كل شئ، أطبقت هند جفونها فى ألم؛ لتطرد دموعها التى ترقرقت فى عينيها وتزاحمت على جفونها تثقلها.

ودون أن تنظر لزوجة أبيها غادرت فى هدوء، وكأنها آلة موجهة اتجهت إلى غرفتها.

وبقيت السيدة هند مكانها تقاوم الإجهاش بالبكاء، حتى فقدت السيطرة على التصنع بالتماسك وانطلقت دموعها تشق طريقها على وجنتيها.

جلست هند على سريرها، ووضعت رأسها بين كفيها، وأطلقت العنان لدموعها؛ لعلها تغسل قلبها وتطيب نواياها وتطهر من ظنونها.

لقد كانت أسوأ من أسوأ إنسان قابلته، لم تؤذ فى حياتها إلا أقرب الناس إلى قلبها.

قضت كل منهما ليلتها تبكي، هند تبكى لكم الاحتقار الذى شعرت به تجاه نفسها، فلقد صنعت من نفسها ضحية تعانى قسوة الحياة وجفاء الأحبة، وماهى إلا مذنبة ترفعت عن معرفة الحقيقة، فأصابت سهام جهلها من حولها بالأذى والألم.

أما السيدة هند، فكانت تخشى رد فعل هند، لا تعلم مدى تقبلها لما قالته، وهل ستصدقها؟ أم ستواجه كلامها بالعناد والتجاهل؟

فى الصباح نهضت السيدة هند وبدلت ملابسها وتأهبت لزيارة قاسم، مرت من أمام حجرة هند، ولم ترد اصطحابها ظنا؛ منها أنها نائمة وربما تحتاج بعض الوقت لتجالس نفسها.

انصرفت السيدة هند، وفى داخل غرفة هند، كانت هند قابعة مكانها بعينين منتفختين؛ من أثر السهر والبكاء، وحينما شعرت برحيل زوجة أبيها، نهضت لتوها وبدلت ملابسها وذهبت لزيارة هبة.

وقفت هند عند غرفة هبة ونظرت إليها من الخارج وأحست بأنها تنظر لنفسها فى مرآه، فما هبة إلا انعكاس لحالتها الآن.

تقدمت هند وجلست إلى جانب هبة: تعرفى إن دى أكتر فترة إحنا شبه بعض فيها؟

لم تتلق هند ردا من هبة كما هو المتوقع، ولكنها تابعت: أنا زيك بالظبط من بره ساكتة ومن جوايا ألف حوار وحوار بيدور.

شاركينى يا هبة، اتكلمى معايا، أنا مش قادرة أواجه أى حد، بس هأشجعك تواجهيني؛ لأنى مسامحاكي، أه ماهى الدنيا دى طلعت أقل وأصغر كتير مما كنت مقدراها، مش مستاهلة خناق وخلاف، والضربة اللى ماتموتنيش تعلمنى وتخلينى أستحمل.

ردى عليا يا هبة ردي، أنا محتاجة حد يرد عليا حتى لو يشتمنى يقولى إزاى اتخليت عن أقرب حد ليا وظلمتهم، بأنانية وأنا باحاول أوجد السعادة لنفسي.

نظرت هند لهبة وقالت بانفعال: ردى عليا، مش عايزة تردى ليه؟ انتى فاكرة إنك عديتى بصعوبات أكتر مني؟ لأ، أنا اتعذبت زيك بالظبط، إحنا الاتنين طلعنا نستاهل بعض وأنا كمان كنت أستاهل اللى عملتيه فيا.

خرجت هند مسرعة من غرفة هبة وهى تبكي، دون أن تنتبه لنداءات والدة هبة.

عادت هند لبيتها، وهناك وجدت السيدة هند والقلق على ملامحها وفور أن رأت هند قالت فى لهفة: هند، كنتى فين؟

لم تجبها هند، ودلفت إلى حجرتها وأغلقت بابها، وعادت لبكائها من جديد.

أخرجت هند صور والدتها، ونظرت إلى إحداهن بحنين، والدموع تسيل على وجنتيها: أنا عارفة إنك زعلانة مني، بس كان غصب عني؛ ما انتى اللى كنتى بتوجهينى وتنصحينى وغيابك المفاجئ عنى خلانى أفقد نفسي، والتواصل معاها أصبح شئ صعب أنتى كنتى حلقة الوصل بينى وبين نفسي.

كانت والدتها هى من توجه دفة حياتها وحين فقدتها هند فقدت معها السيطرة على مسيرة حياتها وأخذت أمواج الحياة تتقاذها، تعلو بها تارة وتارة أخرى تصدمها بالقاع.

تلقت هند اتصالا من يوسف، نظرت إلى اسمه على شاشة هاتفها بألم، وهى تهمس سامحني، وامتنعت عن الرد عليه.

ظلت على حالها أسبوعا، منعزلة عن جميعهم، لا تجيب على مكالمات يوسف، ولا تزور والدها الذى طالما كان يسأل عن حالها.

سمعت والدة هبة طرقا على الباب، فتحته ووجدت زوجها أمامها شاحب الوجه، ثيابه رثة، وعيناه مجهدتان.

لم يخط خطوة إلى الداخل، متجاهلا دموع فرحتها بعودته، وبملامح جامدة قال:

هاتى شبكة هبة من جوه.

الفصل الحادى والعشرون

نظرت إليه زوجته بلهفة: كنت فين الفترة دى كلها؟ وحشتنا أوي.

أمسكت بيده: تعالى ادخل.

خلص يده من يدها وقال بثبات: قولتلك هاتى شبكة هبة من جوه.

قالت بخوف: خليل انت ناوى على إيه؟

- نويت أصحى وأرجع لبنتى كرامتها كفاية بقي.

شعرت زوجته ببعض الفرحة لصلاح حاله، ولكن بعض القلق ساورها إزاء ما ينوى فعله.

بخطوات متثاقلة دلفت إلى داخل الشقة وأحضرت الشبكة وأعطتها له، وهى تستودعه الله.

طرق خليل باب الشقة، وبعد لحظات فتح له فارس الذى اتسعت عيناه فى دهشة، ثم قال بسخرية: انت هربت ولا إيه؟

امتص خليل غضبه وحاول أن يتماسك: خد يا ابنى شبكتك أهيه وفلوسك، ومالكش دعوه ببنتى تاني، كده كل حاجتك وصلتك، واتق الله بقى أنا ظلمت عيالى ومراتى وربنا عاقبنى وادانى درس، وبنتى ظلمت صاحبتها الى ما أذتهاش وربنا عاقبها، وانت ظلمت بنتى وصاحبتها اتق الله قبل ما يغضب عليك ويعاقبك.

ابتسم فارس فى سخرية: انت شكل الحبس أثر على دماغك، ولا يمكن الحشيش عالى المرادي، اتكل على الله وروح شوف حالك.

انصرف خليل وهو ينظر لحال هذا الشاب الطائش بحسرة.

أخذ فارس يتمتم بغضب من ذلك الرجل الأبله-من وجهة نظره- حتى انتبه على صوت أبيه: فارس.

- نعم.

- إيه اللى فى ايدك ده؟

- دى شبكتى وفلوسي.

- هاتهم.

- يابابا...

صرخ والده فى وجهه بغضب وهو ينزع الشبكة والنقود من يديه:

قولتلك هاتهم، ولا عايز تضيع دول كمان على القمار زى ماضيعت أضعافهم؟

انصرف والده وهو يتمتم: ربنا يهديك يا ابني، ده غضب من ربنا وحل عليك.

وقف فارس يتأفف فى غضب وهو يتابع والده بعينيه.

لم يدرك خليل أن العقاب قد حل بفارس بالفعل، فالقمار كان عقاب الله له الذى سلطه عليه ليسلب منه أمواله كما سلب هو السعادة من هند ومن بعدها هبة.

نظرت هند بعينيها المنتفختين إلى شاشة هاتفها التى تضئ بلا توقف، واسم يوسف يتوسطها، مدت يدها إلى هاتفها وضغطت زر الرد.

- ألو، هند أخيرا رديتي؟ انتى بخير؟

لم تجبه هند وشعرت بالاختناق، لقد ظنت أنها هدأت قليلا وتستطيع محادثته، لكنها شعرت بكم حاجتها إليه ومدى ثقل شكواها، فأخذت تبكى بشدة.

- هند انتى كويسة؟ بتعيطى ليه؟ طب باباكى كويس؟

لم تستطع هند أن تجيبه، وأخذت تجهش بالبكاء.

- هند أنا جايلك حالا.

أنهت هند المكالمة، ودفنت رأسها فى وسادتها وتابعت بكاءها.

عاد خليل إلى بيته، وهو يتحسر على ما ضاع من عمره بين اللعب واللهو والمخدرات ونسى مسئولياته، وها هى ابنته تعانى عواقب طيشه.

كانت زوجته تنتظره بالشرفة منذ أن خرج وفور رؤيته، أسرعت إلى الباب وفتحته، وهى تحمد الله على عودته سالما.

كان بائسا، ضعيفا، منكسرا.

وبصوت ضعيف سأل زوجته: هبة فين؟

أجابت بتحسر: فى أوضتها ياكبدي، هى بتتحرك من مكانها خالص.

توجه خليل إلى حجرة ابنته، وفور أن رآها، انطلقت الدموع من عينيه؛ فها هو عقابه من الله يتجسد أمامه.

اقترب منها وجلس إلى جوارها، وهمس لها: سامحينى يا بنتي، الفترة اللى قعدتها فى الحبس خلتنى أتأمل حالى واللى وصلتله، ولما خرجت وعرفت باللى حصلك، قررت ما أرجعش البيت إلا وأنا أحسن، إلا وأنا راددلك كرامتك ورافع راسك.

مش هابقى نقطة ضعف تتعايرى بيها تاني، أنا لفيت على أصحابى النجارين وعرضت عليهم شغلي، ورفضوا مع إنهم كانوا صبيان فى ورشتى زمان قبل ما أقفلها ويتنكس حالي.

سالت دموع هبة على خديها، ووالدها يتابع بأسي:

لحد ما واحد منهم وافق إنى أشتغل عنده بشرط أخلصله شغل بحرفنة زمان وقبضت العربون ورجعت لفارس فلوسه، وأول ما أخلص الشغل مع صاحبى هارجع وأفتح ورشتى وهاكون أحسن من الأول.

فور إنهاء والدها كلامه، ارتمت هبة فى حضنه، وهى تجهش بالبكاء.

بكت والدتها من الفرحة، ووالدها يحمد الله الذى تقبل توبته وكافأه على حسن نيته، واستغفاره، ورد لابنته عافيتها.

فتحت السيدة هند غرفة هند، واقتربت من هند، وربتت على ظهرها فى حنان: هند أرجوكى كفاية، دموعك بتقطع فى قلبي، ياريتنى ماقولتلك حاجة، ياريتك فضلتى تحتقرينى تكرهينى ولا كنتى وصلتى للحال ده.

رفعت هند رأسها، وهى لا تزال تبكي: أنا اللى المفروض أحتقر نفسي، أنا ما سيبتش حد ساعدنى فى حياتى إلا وأذيته وجرحته، ماكنتش فاكرة نفسى وحشة أوى كده.

قالت السيدة هند وهى تشعر بالألم لحال هند: لا انتى مش وحشة، ازاى وحشة وربنا عوضك بكل الناس الكويسه دي؟! بابا اللى بيحبك ويوسف.

اتسعت عينا هند فى دهشة، فتابعت السيدة هند وهى تبتسم:

أنا واخدة بالى من كل حاجة، بدل ماتبكى على اللى راح حافظى على اللى بين ايديكى قبل ما يروح هو كمان.

كفكفت هند دموعها وشعرت ببعض الارتياح، وقالت بتوسل:

انتى ممكن تسامحيني؟!

- أنا مازعلتش منك أصلا علشان أسامحك، أى حاجه انتى قولتيها أو عملتيها كانت رد فعل طبيعي، التغيير الى طرأ على حياتك فجأة لغبط كل حاجة جواكي، أهم حاجة انك تلتفتى دلوقتى لنفسك.

ارتمت هند فى حضنها وتنهدت بارتياح، لكم اشتاقت لهذا الحنان، كيف استطاعت أن تحرم نفسها كل هذا الحب؟

طوقتها السيدة هند بيديها، ومسحت عبرة سالت على خدها.

بعد دقائق قليلة تلقت هند اتصالا من يوسف يخبرها بوصوله، فأسرعت إلى باب الشقة لاستقباله، وكلها اشتياق إليه، كل ما فيها يناديه.

كادت عيناها أن تطمسا دون رؤيته، وكادت شفتاها أن تذبلا دون النطق باسمه.

وقبل أن تفتح الباب، سمعت طرقا، ففتحته فى لهفة، ولكنها وجدت آخر شخص قد تتمنى رؤيته، واقفا أمامها ويسند مرفقه إلى الحائط ويبتسم ببرود.

الفصل الثانى والعشرون [الأخير]

تسمرت هند مكانها، بينما حافظ هو على بروده وقال: وحشتك مش كده؟

لم تنطق هند ببنت شفة، وظلت تحدق به بدهشة، ها هو فارس الذى أحبته يوما وخذلها واشترك مع صديقتها الوحيدة وطعناها بخنجر الخيانة.

أزالت تلك الأفكار من رأسها سريعا وهمت بإغلاق الباب فى وجهه، إلا أنه منعها.

فقالت بانفعال: انت إيه اللى جابك هنا؟ عايز منى إيه؟

- إيه ده شكلك زعلانة مني، ده بدل ماتقوليلى وحشتني؟

تجاهلت هند كلماته: كويس إنك جيت علشان أردلك حاجتك.

خرجت السيدة هند على صوت هند وسألتها: مين ده؟

- ده فارس يا ماما.

دهشت السيدة هند لمناداة هند لها بكلمة ماما، كادت تبتسم، تحتضنها، تقبلها، ولكنها تماسكت لوجود فارس، وبداخلها شعرت بقلبها يتراقص فرحا، كادت تبكى من شدة السعادة، ولكنها تظاهرت بالقوة حتى يرحل فارس.

بينما تابعت هند بتلقائية: خليكى هنا ثوانى على الباب لحد ما أجيبله حاجته.

دلفت هند إلى حجرتها وأحضرت دبلته وأعطتها له.

وقالت له ببرود: كده يبقى مالكش أى حاجه عندي، وأحب أشكرك؛ لأنك خلتنى أحسن؛ لما شفت فيك الوحش حسيت بقيمة الكويس لما قابلته، بجد بأحييك يافارس.

قبل أن تكمل هند كلامها، وجدت يوسف واقفا أمامها ينظر إليها بتساؤل وغضب، فكيف لفارس أن يقف بباب شقتها وتسمعه التحية والكلام المعسول.

ازدردت هند لعابها، ورغم أنها شعرت بوجود نجدتها إلا أنها خشيت انفعال يوسف، فقالت بصوت مرتجف: أقدملك الأستاذ يوسف خطيبي.

اتسعت عينا يوسف فى دهشة وهو ينظر لها بغضب لم تتوقعه، بينما نظر فارس ليوسف وهو يضحك بسخرية.

انصرف فارس وهو لا زال يضحك ساخرا، وترك هند تواجه يوسف وغضبه.

جز يوسف على أسنانه فى غضب: إيه اللى جابه هنا؟

حاولت السيدة هند تهدئته: اتفضل يا يوسف يا ابنى جوه.

كرر يوسف سؤاله بمزيد من الانفعال: إيه اللى جابه هنا؟

قالت هند بصوت ضعيف مرتجف: يوسف اهدى بس أرجوك.

ازداد غضب يوسف وفقد أعصابه وبدأ يصرخ فى وجهها: ما انتى كويسة أهوه وبتقابلى وبتتكلمي!على العموم دى غلطتى أنا.

انصرف يوسف وترك هند منهارة، تبكى بحرقة على سوء فهم يوسف لها، وعلى ذلك الموقف الذى لم تتخيل يوما أن يجمعهما.

ارتمت فى حضن السيدة هند، التى أسندتها وأدخلتها إلى الشقة.

أخذت هند تتمتم من بين بكائها: والله ماكنت أعرف إن فارس جاي.

ربتت السيدة هند على كتفها بحنان: بس، اهدى ده سوء تفاهم عادى وهيتصلح لما يوسف يعرف حقيقة الموقف.

- يعرف إيه؟ يعرف إيه؟ كل حاجة ضاعت خلاص، منه لله فارس دمر لى حياتى كلها، مش مكفيه اللى عمله زمان؟!

أشفقت السيدة هند على حالها، واحتضنتها بقوة؛ حتى تهدأ.

أسندت هند إلى حجرتها وذهبت تحضر لها كوبا من عصير الليمون؛ حتى تهدأ قليلا.

- اشربى الكوباية دى تريح أعصابك شوية.

- مش عايزة حاجة.

- علشان خاطرى ارتاحى دلوقتى وبعدين هنتكلم.

استجابت هند وشربت كوب العصير، بعدها هدأت قليلا، فدثرتها السيدة هند وتركتها تستريح.

فى صباح اليوم التالي، حضرت السيدة هند إلى حجرتها وأيقظتها برقة، فتحت هند عينيها.

- هند أنا رايحة أزور بابا، تيجى معايا؟

كانت تحاول السيدة هند أن تغير الأجواء التى أحاطت بهند مؤخرا، وخاصة أنها لم تزر والدها منذ فترة.

- بابا وحشنى أوي، بس مش عايزاه يشوفنى كده.

- مالك؟!ماانتى زى القمر أهوه، هاستناكى تغيرى هدومك ونروح سوا.

خرجت السيدة هند من الحجرة، وتركت هند تبدل ملابسها.

انتهت هند من تبديل ملابسها وخرجت إلى السيدة هند التى استقبلتها بابتسامة رقيقة.

طوال الطريق وهند شاردة، ومن حين لآخر تنظر إليها السيدة هند بإشفاق، حتى وصلتا.

توقفت هند قليلا أمام غرفة والدها، وشعرت بالاختناق، فحفزتها السيدة هند على الدخول، وابتسمت لها.

فور أن دخلت هند غرفة والدها، ارتمت فى حضنه وأجهشت بالبكاء.

طوقها والدها بذراعية وربت على كتفها بحنان.

من بين دموعها: وحشتنى أوى يابابا.

- وانتى كمان.

اقتربت منهما السيدة هند وقالت بنبرة تفاؤل: الحمد لله حالة قاسم بتتحسن، وقريب- إن شاء الله -هيكون معانا فى البيت، ومابقاش هيوحشنا بقي.

ابتسم قاسم، وقل بكاء هند، وحاولت أن تتماسك؛ حتى لا يقلق والدها بشأنها.

ابتسمت له: وحشتنى أوى يابابا، ووحشنى البيت فى وجودك.

ابتسم والدها رغم ألمه، مسح على رأسها بحنان.

استأذنتهما هند فى الخروج حتى تتيح لهما مجالسة بعضهما.

فور أن خرجت هند، نظر والدها لزوجته فى قلق: هند مالها؟

تظاهرت زوجته بعدم الفهم: مالها؟! ماهى كويسة.

- كويسة إزاى وهى بتعيط كده؟!

- ما انت وحشتها ياقاسم.

قطب جبينه فى يأس، فابتسمت له مطمئنة:

ما تقلقش يوم ماهيفلت منى زمام الأمور هالجألك ومش هاسيب هند تضيع مني.

ودعت السيدة هند وهند قاسم بعد أن انتهت الزيارة، وانصرفا.

ظلت هند شاردة حتى وصلتا منزلهما، ولازالت السيدة هند حائرة؛ لا تعلم أين السبيل لبداية الحوار مع هند، ولكن هند هى من بادرتها قائلة: شكرا.

- على إيه؟

- زيارتى لبابا النهارده فرقت معايا كتير.

- يعنى انتى دلوقتى أحسن؟

نظرت هند بعيدا وكأنها تستعيد ذكريات: بقالى كتير ما فرحتش، كل ما أقرب من الفرحة ويتهيألى إنها على بعد خطوات منى أرجع أكتشف إنها سراب، حتى أحلامى اللى بنيتها على أساس مشاعرى تجاه يوسف طلعت مش مكتوبلها تشوف النور. قالت هند جملتها الأخيرة وانخرطت فى البكاء.

قالت السيدة هند بإشفاق: هند انتى مكبرة الموضوع أوي، أنا شايفة إنه سوء تفاهم عادي، وبمجرد التوضيح كل شىء هينتهي.

قالت هند بيأس: أنا إحساسى بيقولى إنه خلاص.

- حتى لو إحساسك بيقول خلاص، حاولي، حاولي؛ علشان ما تندميش بعدين.

مشاعرك وإحساسك الرقيق تجاهه يستاهلوا إنك تحاولي، لو اتقبل كلامك وتوضيحك يبقى انتى كسبتيه، ولو ماتقبلهوش مش هتكونى خسرتي، يكفى إنك حاولتي، لما تندمى إنك كلمته وصدك أحسن ماتندمى فى يوم إن كان فيه فرصة تكلميه واتخليتى عن الفرصة دي.

أتبعت السيدة هند بألم: الوجع اللى هتحسى بيه لو صدك أقل بكتير من الوجع اللى هتحسيه لو اتنازلتى عنه بدون محاولات.

تنهدت هند فى حيرة، رغم أنها اقتنعت بوجهة نظر السيدة هند، إلا أن تلك الخطوة صعبة التنفيذ.

دلفت هند إلى حجرتها فى خطوات متثاقلة، نظرت إلى هاتفها، وبتردد مدت يدها إليه، اتصلت على يوسف مرتين ولم تتلق ردا، أعادت الاتصال به للمرة الثالثة -والأخيرة كما انتوت-وفى تلك المرة أجابها.

تلعثمت فى البداية، حتى استجمعت قواها وبادرته بصوت ضعيف: إزيك يا يوسف؟

أجابها ببرود: الحمد لله.

- يوسف انت كنت دايما تقولى ماينفعش أحكم على حد من غير ما أسمعله، صح؟

سكت يوسف قليلا قبل أن يجيبها بانفعال: أسمع إيه؟ أسمع إيه وأنا شايف كل حاجة بعنيا.

بدأت هند تبكي؛ لشعورها بضعفها وهى تحاول الدفاع عن نفسها:

والله ما كنت أعرف إنه جاي.

- بس انتى لسه بتحبيه، بدليل إنك قدمتنى ليه على إنى خطيبك، يعنى بتغيظيه بيا.

زاد بكاء هند وهى تشعر بهوانها وموقفها يزداد سوءا: ليه يا يوسف بتحسبها كده؟ أنا كنت باتحامى فيك مش باغيظه بيك.

أتبعت بضعف: صدقني.

سكت هو بينما استمرت هى فى البكاء إلى أن قطع بكاءها قائلا:

هند الكلام ده كله انتهى وقته خلاص؛ أنا خطبت.

شهقت هند فى فزع، فجأة شعرت بأنها غابت عن الواقع للحظات، حتى عاد إليها إدراكها وترددت جملته فى ذهنها (أنا خطبت) تاهت الكلمات وأصبح لا معنى ولا فائدة لأى كلام.

فى صدمة أغلقت هاتفها، وخرجت إلى السيدة هند -وهى لا زالت مصدومة- ودموعها تنساب على خديها بلا توقف.

وقفت السيدة هند فى فزع: مالك؟

نظرت إليها هند بذهول وأجابت بصوت بالكاد يسمع: يوسف خطب.

أنهت هند جملتها وسقطت على الأرض فى انهيار، غطت وجهها بكفيها، وأخذت تبكى بحرقة.

الآن انقطع آخر خيط كان يربطها بالأمل، لم يعد لها مكان بين الحالمين، بين المستبشرين، وكتب عليها أن حراما أن تطأ قدماها أرض الفرح.

أسرعت إليها السيدة هند، وحاولت التخفيف عنها: هند بصيلي، اتكلمي، قولى حاجة.

بكت السيدة هند تمزقا لحالها، وهند لا تستجيب لها.

بعد دقائق رفعت هند رأسها ببطء ولا زالت الدموع تنساب على خديها: دلوقتى بس اتأكدت إنى وحشة وما أستحقش أى حاجة، لو كنت أستحق ما كنتش فقدت كل حاجة غالية.

- هند أرجوكى ماتقوليش كده، انتى أحسن بنت فى الدنيا، وتستحقى أحسن من يوسف بكتير.

قاطعتها هند بانفعال: لأ، أكيد اللى بقت نصيبه دلوقتى هى اللى أحسن منى، أنا خلاص بقيت بره حياته من النهارده، مابقاش من حقى حتى إنه يعدى فى أحلامى ولو صدفة.

-هند أنا وبابا لسه فى حياتك، يعنى لسه فى ناس بتحبك وبتخاف عليكي، ده مش آخر الدنيا.

قالت هند فى يأس: دنيا، دنيا إيه؟ دنيتكم دى رصيدى خلص فيها، أنا حتى مابقتش أنفع ضيفة شرف فيها، أنا دلوقتى دورى فى دنيتكم إنى أتفرج عليكم وانتم عايشنها، وجودك انتى وبابا فى حياتى نتيجته إنكم بتحسوا بألمى وبوجعى إنما ماحشتوش عنى الوجع.

- أرجوكى يا هند كفاية كفاية.

- فعلا كفاية لحد هنا ودورى فى الحياة انتهي، قولتيلى أدافع عن حبي، ماكنتش أعرف إن الحب ده مش من حقي، أكيد بقى من حق سلوى، أنا متأكدة إنه خطبها هي، دلوقتى قلبه بقى لحد غيرى حياته هيشاركها مع حد غيري، حتى هامش حياته مايبقاش يتسع لذكرايا.

- هند قومى معايا.

استندت هند على السيدة هند التى أدخلتها غرفتها، وجعلتها تسترخى على سريرها، مسحت على رأسها وقالت:

سواء استنينا بكره أو لأ هييجي، ولما بييجى بحاجة مش عايزينها بنتصبر بالحلم.

ظلت هند تبكى طوال الليل لم يغمض لها جفن، وإلى جوارها سهرت السيدة هند تبكى لبكائها وتئن لألمها.

وفى الصباح، رن هاتف السيدة هند، أجابت: السلام عليكم.

على الطرف الآخر جاء صوت ممرضة قاسم:

مدام هند أستاذ قاسم عايز يشوفك حالا انتى وآنسة هند.

تسارعت دقات السيدة هند ودب داخلها الخوف، وبنبرة الخوف: هند قاسم طالب يشوفنا فى المستشفي.

نهضت هند من مكانها وقالت فى خوف: هو كويس؟

- مش عارفة.

- ربنا يستر.

خلال دقائق كانت السيدة هند وهند فى طريقهما إلى المشفي، وكل منهما تنظر للأخرى بقلق وخوف، حتى وصلتا، وكل منهما تشعر بأن دمها تجمد خوفا ورعبا.

وأمام غرفته نظرت كل منهما للأخرى، وقد بلغ القلق مبلغه.

فتحت هند الباب بيدين مرتعشتين، وخلفه وجدت ماجعلها تتجمد مكانها هى والسيدة هند.

يوسف يقف مبتسما، مهندما ويمسك بيده ورودا ملونة مرتبة بطريقة تخطف الأبصار، وخلفه يجلس قاسم على سريره مبتسما.

فتحت هند فاهها بدهشة وإلى جانبها السيدة هند التى التزمت بنفس رد الفعل، ما جعل يوسف وقاسم ينفجران بالضحك.

نظرت كل منهما للأخرى فى عدم فهم ممزوج بدهشة.

اقترب منها يوسف وهو لازال يحتفظ بابتسامته وقال: انتى يعنى عايزة تقوليلى أنا كنت باتحامى منه فيك، وأروح أخطب حد تاني؟!ده أنا أبقى مجنون.

أنا خطبتك من باباكى إمبارح بعد ما مشيتوا من عنده.

هند: أنا مش فاهمة حاجة.

يوسف: بصى ياستى ببساطة كده مدام هند كلمتنى علطول بعد سوء التفاهم وفهمتنى كل حاجة، وأنا طبعا ما كدبتش خبر وطلبتك من والدك؛ ما أنا باتلكك بقالى فترة علشان أطلبك ومش عارف.

نظرت هند إلى زوجة أبيها فى دهشة، فابتسمت السيدة هند فى خجل وقالت: سامحينى إنى فتحت تليفونك من غير إذنك وأخدت نمرته، بس والله ماكنتش أعرف بتمثيليته دي، أنا بس فهمته اللى حصل. (ماتقلقش يوم ماهيفلت منى زمام الأمور هالجألك ومش هاسيب هند تضيع مني)

هز يوسف رأسه مؤمنا: حصل، بصراحة الباقى ده كان خطتي، حبيت أشتغلك وأوريكى إحساس لما تبقى نفسك تدافعى عن نفسك واللى قدامك مش مديكى فرصة ويحكم عليكى من وجهة نظره بس.

رفعت هند حاجبيها وابتسمت، نظرت للسيدة هند بحنان وقالت:

معقولة عملتى كده علشاني؟!

- وأنا عندى كام هند!

ارتمت هند فى حضنها، ثم نظرت إلى يوسف وقالت مازحة:

أما انت بقى فحسابك معايا.

تنحنح يوسف ورد عليها مازحا: بصراحة مش فاضى لأى حساب دلوقتى لأنى المفروض أنزل أشترى الشبكة أنا وخطيبتى حالا، فاضية تيجى معايا؟

ضحكت هند من مزاحه وقالت: هأشوف كده لو بابايا وافق، هاتنازل وآجى معاك.

اقتربت هند من والدها وقبلت يده، ثم ارتمت فى حضنه، وسالت دموع فرحتها على خديها.

حان الآن وقت الفرح أما الحزن فلقد انقضى وقته وأصبحت صلاحيته منتهية.

السيدة هند: يا هند رايحة فين بس دلوقتي؟

- يا ماما مش هتأخر هو يوم بس هاجيب الحاجات الى ناقصانى من الشقة وراجعة.

- كده وانتى فى الشهر التاسع؟

- أعمل إيه ما أنا لو بعت يوسف يجيبها هيلغبطلى الدنيا.

نظر إليها يوسف بتحد: ياسلام دلوقتى يوسف بقى بيلغبط الدنيا، أمال مين كان بيروق ويطبخ وانتى فى الشهور الأولى قبل ما تيجى تتطفلى على طنط وعمي؟

ابتسمت هند وقالت فى دلال: خلاص يا حبيبى أنا بس بأحاول أقنع ماما تسيبني، إنما أنت ربنا مايحرمنى منك.

السيدة هند: كده؟ طيب سيبى زينب معايا لحد ما ترجعي.

- على عينى يا ماما، ده أنا نفسى أستريح منها ولو ساعة بس هاتجننكم.

خرج إليهم قاسم، وغمز لزوجته:

خلاص سيبيهم على راحتهم، وبعدين ما تقلقيش عليها، قاسم هيتولد هنا فى بيت جده، أكيد بيحب جده وهيحقق أمنيته.

ضحكوا جميعهم من مزاحه، ثم ودعتهم هند وانصرفت مع يوسف.

أسرعت السيدة هند إلى الشرفة؛ حتى يتسنى لها التلويح لزينب، جذبها قاسم برفق: تعالى بقى نلحق نقعد مع بعض شوية قبل ما يرجعوا.

ضحكت السيدة هند من تصرفاته الطفولية: هتفضل طفل طول عمرك ياقاسم.

ابتسم لها فى رقة: طول ما انتى معايا عمرى ما هاكبر أبدا، أنا باستمد شبابى من ابتسامتك.